



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-

كلية الآداب والفنون

قسم الأدب العربي



مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

بمعنوان:

خصائص الأسلوب الخطابي في خطبة عمر بن الخطاب "رضه" أثناء التولية.

إشراف الدكتور:
- قاضي الشيخ

إعداد الطالبة:
- بوتدارة فاطمة الزهراء

السنة الجامعية: 2018/2017

دعاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا.

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا

وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ...﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة: الآية/286.

إهداء

إلى من لونت عمري بجمالها وحنانها، وعجز اللسان عن وصف جمالها، وبهرت
وضحت براحتها حتى تراني مرتاحة، وشملتني بعطفها ورعايتها "أمي الحبيبة"
إلى من كان لي نعم السند وقدوتي في الاجتهاد والإخلاص "أبي العزيز"

إلى من ذقت في كنفهم طعم السعادة: إلى إخواني وأخواتي وكل أقاربي في ولاية
مستغانم وخاصة في ولاية بشار وعائلي الكبيرة في ولاية ادرار إليكم أعلى التحية.

إلى من تعهدوني طفلة وشابة يافعة "أساتذتي الأجلاء"، ومن قاسموني مقاعد
الدراسة من الطلبة والزملاء: حياة بوزيان، نعيمة، فاطمة بلجنة، فاطمية بن حمودة
، حنان برحوا، سكيينة عمارة، فاطمة سلامنية، بوخاتمي المجدوب، فوزية
مهداوي، سهيلة شقرة، عبد الله خليفة.

إلى جميع طلبتي قسم الأدب العربي

إلى كل من يتخذ البحث هواية .

إلى كل من اختار ريشة الدرب العتيقة .

إلى كل من سعى وما زال يسعى لترقية الأدب العربي إبداعا.

وإلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

فاطمة الزهراء

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذه المذكرة ،اللهم صلي على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم وبعد:

فبعد أن أتممت المذكرة أستذكر الجهود التي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان ،وأجد نفسي في كلمة لا بد أن أذكرها ،وهي أن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل الله تعالى ،وبفضل الذين كانت لهم الأيدي البيضاء عليه،وهذه الكلمة أتوجه فيها إلى الله بالدعاء والشكر إلى من أفادني من العلم حرفاء،وعلى كل من قصده فاعانني واستنصحته فنصحتني،وحدثني فصدقت.

دعاء من القلب بأن يجزيه الله عني خير جزاء.

فما كان لمذكرتي أن تخرج إلى النور لولا التوجه السديد والرعاية الفائقة التي شملني بها الأستاذ"قاضي الشيخ"وكانت لملاحظته القيمة الأثر الكبير في إظهار هذه المذكرة فضلا عن إشرافه علي وتشجيعي،حتى أصبح البحث ثمرة يانعة على الرغم من الظروف والأيام العصيبة التي أحاطت بي.

فله مكلي جزيل الشكر والامتنان اعترافا بالجهود العظيمة وسيظل فضله يحمل أجره.

فقد قيل:"من علمني حرفاً ملكني عبداً"

فشكراً لكرمه وجزاه الله خير الجزاء ونسأل الله التوفيق والسداد.



مقدمة



مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل وأتم التسليم...وبعد:

لقد ولد النثر العربي من بطن الجزيرة العربية عند الأعراب البدويين في هيكله الساذج والبسيط ولما انتقل العرب إلى الحضرة وأصبحوا مدنين، تقدّم وترعرع النثر العربي في المدن والحضر، وأصبح النثر يلعب دوراً هاماً في الخطب العربية التي يلقيها رئيس القوم أو قائدهم في المجالس.

وعليه فقد حقق النثر الإسلامي مكانة مرموقة في الأدب وميزة ينفرد بها عن الشعر، وقد احتلت الخطابة في عصر صدر الإسلام مكانة واضحة بينة فهي جزء من صلاة الجمعة وخطب الحج وغيرها وقد كانت أهم خطبها خطبة محمد صلى الله عليه وسلم "حجة الوداع" في مكة المكرمة.

إذ أن الخطابة فن من فنون التواصل الاجتماعي الإنساني فقد كانت ولا زالت مجال بحث ودراسة من لدن عدد كبير من المهتمين قديماً وحديثاً، والخطاب الإسلامي له أهمية بالغة في هذا الفن عند المسلمين، لذلك هم يهتمون به أكثر الاهتمام ويعنى به جمهور الخطباء على المستوى الديني والمدني والسياسي.

ومنه فقد أردت في بحثي هذا أن أخوذ في هذا الموضوع. موضوع الخطابة- لأهميته وشرفه وما يمثله من قيمة إنسانية ومبادئ إسلامية وخاصة قيمة الخطاب الإسلامي في خطبة الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومما شد فضولي للتطرق لهذا الموضوع الذي يحمل عنوان: "خصائص الأسلوب الخطابي في خطبة عمر بن الخطاب أثناء التولية"، متخذة الخطبة السياسية أنموذجاً للتحليل وخاصة الخطبة التي ألقاها عند توليه للخلافة مجالاً للتطبيق.

- يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع بالتحديد:

أني كنت قد درست موضوع الخطابة وهي إحدى المواضيع التي تدرس في الجامعة بشعبة دراسات أدبية تخصص أدب قديم، ضمن مقاييس مختلفة، إذ استحسننت هذا الفن وأردت أن يكون فيه موضوع بحثي لنيل الشهادة الجامعية، وبعد تفكير طويل وبحث عميق عن الموضوع المناسب وباستشارتي مع أستاذي الفضل "قاضي الشيخ" الذي أشار لي بإشارة لطيفة إلى موضوع خطبة الصحابي الجليل عمر رضي الله عنه، فاستحسننته واخترت منه خطبته السياسية التي ألقاها أثناء التولية، لتحليل مضامينها واستخراج ما فيها من درر، وذلك بتحليل عصري ومفاهيم حديثة أردت من خلالها تكسير حواجز الزمان والمكان باعتبار أن المبادئ التي تدعوا إليها هذه الخطبة لا تركز إلى حدود الأزمنة والأمكنة بقدر ما تركز إلى المفاهيم والتصورات، وذلك بلغة العصر لتقريبها إلى الأذهان.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في مدى أهمية الخليفة عمر رضوان الله عليه وسياسته ونظرته لواقع الإسلام والمسلمين باعتباره القدوة بعد أبو بكر رضي الله عنه والرسول صلى الله عليه وسلم في الدين والسياسة والتربية والاجتماع الإنساني العام والإنساني الخاص، فهو الرجل الذي يحتذى به ويستفاد من خطبه وسيرته، ووجب السير على نهجه لأنه منهج النبوية الذي أقامه معلمه ومعلم الأمة جمعاء "محمد" (ص).

وهذا نَمَى وبرز جملة من التساؤلات الآتية:

- ما أبسط مفهوم لمصطلح النثر؟ وكيف تطور في العصر الإسلامي؟.
- ما المقصود بفن الخطابة والأسلوب الخطابي؟ وكيف كانا عصر صدر الإسلام؟.
- ما هي أهم مميزات الأسلوب الخطابي عند الخليفة؟.
- هل ساهم فن الخطابة في خدمة الأمة الإسلامية؟.

وللإجابة على جملة هذه الإشكاليات وتوضيحها تم إتباع الخطة التالية:

مقدمة فمدخل يتضمن خمس عناصر هي: مفهوم النثر وتطوره في عصر صدر الإسلام، ثم البيئة السياسية في العصر الإسلامي، يليه مبحث لمحة تاريخية عن الخطابة عند العرب قبل الإسلام (أي في العصر الجاهلي) والفتوحات ودورها في تطور الخطابة، ويندرج تحت هذا

المدخل فصلين وكل فصل انطوت تحته خمسة مباحث، فالفصل الأول يمثل الجانب النظري: تمحور أولاً: في فن الخطابة من مفهوم ونشأة، وعيوب الخطابة وصفات الخطيب، ومراحل إعداد الخطبة وتكوينها إضافة إلى أنواعها وموضوعاتها بين القديم والحديث أما ثانياً: انصب فيه مفهوم الأسلوب الخطابي سماته ومحدداته، وصولاً إلى مميزاته وخصائصه.

أما الفصل الثاني يمثل الجانب التطبيقي: فقد خصصته لدراسة خطبة عمر رضي الله عنه أثناء التولية دراسة أسلوبية، بدأً من عبقريته رضي الله عنه، ثم ترجمة لسيرته، ويليه مبايعته للخلافة وختام هذا الفصل بدراسة أسلوبية لخطبته أثناء التولية.

وقد تم اتخاذ المنهج التاريخي لإنجاز هذا البحث وهو المنهج الملائم لسرد تاريخ الخطابة الإسلامية والجانب التاريخي للخليفة عمر بن الخطاب، وذكر أهم الحوادث خصوصاً السياسية التي مرت عليه، وهذا من الزاوية النظرية، ويكون المنهج الأسلوبى المبنى على نظام المستويات اللغوية مجالاً لتحليل الخطبة، والذي يعد كوجهة نظر الأنسب في عملية الدراسة والكشف عن خصائص الأسلوب الخطابي.

وللبحث في هذا الموضوع وانجازه تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

تاريخ الخلفاء الراشدين للسيوطي، لسان العرب لابن منظور، في الأدب الإسلامي والأموي لعبد العزيز عتيق، عبقرية عمر رضي الله عنه لمحمود عباس العقاد، وتاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) لشوقي ضيف، والأسلوب لأحمد الشايب، وفن الأسلوب لحميد آدم ثويني، وعلم اللغة لمحمد سمران.

وما واجهني من صعوبة شعب الأحداث واختلافها في كتب التاريخ وتعدد رواياتها حول الخليفة عمر رضي الله عنه مما صعب عملية اختيار ما يخدم الموضوع، وصعوبة فهم بعض الكتب المترجمة إلى العربية مثلاً كتاب أرسطو الخطابة.

إلا أن مساعدة الأستاذ المشرف والذي لم يذخر أقل جهد ومد يد العون لي ويعود له الفضل العظيم بعد التوفيق من الله تعالى فلك مني خالص الشكر والاحترام.

وما كان فيه من توفيق فمن الله عزّ وحلّ، وإن كان من خطأ فمن نفسي، وأسأل الله العفو والعافية.

وأرجوا من الله تعالى أن ينفع بهذا البحث المتواضع، وأن يجعل ما بذلته فيه من جهداً عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن يعم به النفع.

"ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار..."

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مدخل:

أولاً: مصطلح النشر: المفهوم بين اللغة والاصطلاح.


ثانياً: النشر في العصر الإسلامي.

ثالثاً: البيئة السياسية في عصر الإسلام.

رابعاً: لمحة تاريخية عن الخطابة قبل الإسلام وفي

الإسلام.

خامساً: الفتوحات الإسلامية ودورها في تطور الخطابة.



1-1 - مصطلح النثر:1- تعريف النثر:

أ- لغة: جاء في معجم لسان العرب: "النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا، مثل نثر الجوز واللوز والسكر..."¹.

جاء في المعجم الوسيط: "النون والثاء والراء أصل صحيح يدل على التقاء شيء متفرق، ومثر الدراهم وغيرها ونثر الشاة، طرحت من انفها الأذى، ويقال أنثره أرفعه الدم، والنثرة الدرع"².

ب- اصطلاحا: يعرف النثر على أنه: تعبير عن المشاعر وما يدور في الذهن دون قيود فنية، وهو كل ما يدور في نفس وقلب الإنسان من أفكار وخواطر ومشاعر وانفعالات ولا يتقيد بوزن أو قافية، ويكون لغة للتخاطب، وهو شكل وأسلوب للكتابة والتعبير، وهو شكل أدبي يستوعب التفاصيل والتجارب الإنسانية، ومنه النثر يقوم على أساس بناء لغة على لغة.

¹- أبي الفضل بن محمد مكرم بن منظور: "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، مج: 05، (د، ط)، (د، ت)، ص 191.

²- أحمد بن فارس: "مقاييس اللغة"، تر: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج 01، (د، ط)، 1399هـ، 1979م، مادة نثر، ص 389-390.

1-2- النثر في العصر الإسلامي:

لو نتفحص في أدب هذا العصر نواجه بالتدهور العظيم في الصور النثرية مع استقرار النظام الإسلامي في الحضارة العربية. فكان مبدأها مبعث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ونزول القرآن الذي أدى إلى ارتفاع مستوى الأدب خاصة الخطابة النثرية وليس هذا التغيير بمعنى زوال النثر بل اتسع في هذا العصر قواعد الكتابة والفنون النثرية.

كان تأثر النثر بالإسلام أقوى قوة، فقد نزل فيه الذكر الحكيم المعجز ببلاغته وألقى به الرسول صلى الله عليه وسلم، أحاديثه وخطبة الرائعة وثنية ساذجة إلى ذات دين سماوي باهر، تخوض في معان جديدة¹ يقول طه حسين: ((الذي ليس فيه شك أن أقدم نص يمكن أن نطمئن إليه هو القرآن))²، كما نعلم أن لغة القرآن تختلف اختلافاً غير يسير عن لغة الشعراء فهي تعرض مرة في تاريخ اللغة العربية، ينكشف الستار من عالم فكري تحت شعار التوحيد، بحيث لا تعد لغة الكهانة والعرافين الفنية المسجوعة إلا نموذجاً واهياً، من حيث وسائل الأسلوب، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة³.

فقد اتسع النثر في هذا العصر من الناحية الفنية فقسمه الباحثون إلى قسمين: الأول: النثر الإيجازي والثاني: النثر التفصيلي.

إذ يشتمل : النثر الإيجازي في هذا العهد إلى ثلاثة أنواع هامة: الخطابة والتوقيعات والرسائل⁴، ولكن الذي يهمننا من بين هذه الأنواع هي الخطابة التي هي محل الدراسة.

¹ - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ط11، 1119هـ، ص111.

² - طه حسين: تاريخ الأدب العربي، مطبعة فاروق، القاهرة، ج2، ط3، 1352هـ، 1933، ص424.

³ - يوهان فك: العربية "دراسات في اللغة واللهجات والأساليب"، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، (د، ط)، 1400هـ، ص17.

⁴ - حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب "الأدب العربي"، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م، ص86.

1-3- البيئة السياسية في عصر صدر الإسلام:

أول ما يلفت الانتباه ويتبادر إلى أذهاننا أن هذا العصر اسمه "عصر صدر الإسلام"¹ الذي يدل على الخضوع والانقياد وشروق نور الإسلام وخروج الإنسان العربي من الظلمات إلى النور، بنزول الوحي على سيد الخلق أجمعين "محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم". فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية.

وعليه فقد شهدت القبائل في شبه الجزيرة العربية تحولاً جذرياً في جميع مجالات حياتها خصوصاً الدينية والسياسية والأدبية منها، بحيث أبطل الإسلام كل ما كان العرب يدينون به من أوثان وأصنام، وأنَّ العرب لله الواحد القهار وجعلهم على كلمة التوحيد لبناء أمّة واحدة تحت مظلة الإسلام. وسقطت كل المعتقدات الجاهلية والعصبية القبلية، أما المجال الأدبي فأبرز ما يلاحظ فيه مكانة الشعر وتراجعها وبروز أجناس أدبية أخرى، ويمكن أن نحصر هذه النقاط في:

- أثر التعاليم الإسلامية في الحياة الأدبية:

لابد أنَّ التعاليم الإسلامية التي نقلت العرب من طور إلى طور آخر وغيرت مجرى حياتهم قد كان لها الفضل والأثر البالغ على جميع الأصعدة:

(أ) - **الصعيد الديني**: جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بدين الحق والذي ألغى به كل ما كان سائد في الفترة الماضية من ضلاله وجهل يقول تعالى "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"... فهو دين لسعادة النَّاس كافة، ديناً يكمل الديانات السماوية السابقة.

¹ - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي "الأدب الإسلامي"، دار المعارف، مصر، ج02، ط19، 1119هـ، 1963م، ص11.

فالإسلام يقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل. وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى طمأنينة النفس وتصديقها بما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأهم أصل في العقيدة الإسلامية الإيمان بوجدانية الله، فلا عبودية لغير الله من أوثان وأحجار وكواكب، وهو ليس إله قبيلة ولا إله شعب بعينه ولا إله نور أو ظلام بل هو (ربُّ العالمين).¹

كذلك الإيمان بملائكته ورسله والأنبياء أجمعين والتصديق بما جاؤوا به من كتبه، والإيمان باليوم الآخر بحيث: "يكثُر القرآن من الحديث عن عقيدة المعاد، فالناس جميعاً مبعوثون بعد موتهم وهو يوم الحساب، والكُلُّ يحاسب على أعماله"² يقول تعالى "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"³، أيضاً الإيمان بالقضاء والقدر، فالله هو الذي يرزق العباد ويكتب لهم كل شيء، وكذلك الرضا به. وتلك هي أصول العقيدة الإسلامية، وبجانبيها أعمال من العبادات يجب على المسلم أدائها، وهي ترجع على أربعة أصول: الصلاة والصوم والحج والزكاة. والصلاة بما يسبقها من طهارة الوضوء وبما فيها من تلاوة القرآن وتسييح واستغفار.

(ب)- الصعيد الفكري والنفسي:

بعدما قضى الإسلام على الوثنية الجاهلية بكل ما جرى فيها من كهانة وسحر وشعوذة وخرافة، فقد أرسى قواعده وأركانه التي تنظم الحياة الدينية للمسلم وحارب كل ما جاءت به، بذلك ارتقى بعقل الإنسان وخلصه من الحماقات والتفاهات وقد مضى يحتكم إليه في معرفة الكائن الأعلى الذي أنشأ الكون ودبّر نظامه، داعياً له إلى أن يتأمل في ملكوت السموات والأرض.⁴

ومن الواضح أنّ الإسلام قد أجاب على كل التساؤلات التي طالما جالت في الفكر الجاهلي حول المصدر والمصير والموت والحياة وكافة الصراعات النفسية التي عان منها الإنسان الجاهلي، كون الإسلام نظم الجانب النفسي له، ووضّح كل ما كان غامضاً بالنسبة له، وأنّ

¹- نفس المرجع: ص11.

²- نفس المرجع: ص13.

³- سورة الزلزلة: الآية 08.

⁴- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص15.

الحياة دار فناء وأن البقاء لله وحده، وأن الدار الباقية هي الدار الآخرة التي ستظهر كل ما صنع الإنسان في حياته.

(ج)- الصعيد السياسي: الإسلام دين وحركة في وقت واحد، ولقد غني الإسلام بهداية المسلمين وتزكية نفوسهم كما غني بإصلاح أحوالهم العامة في الدولة وتنظيم حياتهم الخاصة بالأسرة.¹

وكانت أولى ثمرات الإسلام القضاء على العصبية القبلية، ذلك الرابط الذي كان في الجاهلية يشد الرشد إلى الفرد ويشد الجماعة إلى الجماعة على أساس من القرابة العرقية، ولمّا جاء الإسلام ودخل فيه العرب والعجم والروم... تبدل الإسلام بالعصبية الجاهلية، التي هي أساس "القبيلة"، جامعة روحية هي "الأمة".²

ومن هذا المنطلق، إنّ فكرة الأمة التي تجمع المسلمين تحت لواء واحد، وتجمعهم يد واحدة قضت على ما عرفوه من قبل باسم الثأر والحروب القبلية بين الإخوة و أبناء العمومة والتي لا تنتهي إلى بعد أمد طويل.

ومن هنا عرفت الأمة الإسلامية فتوحات عظيمة وعلاقات مع الشعوب والأمم الأخرى ، بحيث: "أنّ غير المسلمين في نظر الإسلام قسمان"³:

1- **أهل الكتاب:** (أصحاب الدين السماوي): كالنصارى واليهود فكان لهم حالان يختلفون بهما في الدولة الإسلامية من المسلمين:

(أ)- يدفعون الجزية مقطوعة (بين دينار وأربعة دنانير في العام حسب درجة غناهم)، ثم لا يذهبون إلى الجهاد والفتح.

(ب)- لم يكن أهل الكتاب يتولون الخلافة ولا القضاء بين المسلمين.

2- **أما الكفار:** فكانوا أهل حرب أو دار حرب، ولم يكن لهم في العصر الذي نعالجه مكان في الدولة الإسلامية، وكان قتالهم واجباً. ويحسن أن نذكر أنه كان في هذا العصر طبقة من المؤلفلة قلوبهم، وهم أفراد من أهل الكتاب ومن المسلمين أيضاً، كانوا يحسنون سلوكهم في

¹ - نفس المرجع: ص18.

² - عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم"، دار الملايين، لبنان، ط05، 1984م، ص239.

³ - نفس المرجع: ص 240.

الدولة الإسلامية إذ تناولوا مبالغ من المال، أمّا الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكيد للمسلمين فهم المنافقون.

ومن خلال هذا التنظيم الذي وضعه الإسلام وعلاقتهم مع الشعوب والأمم الأخرى، جعلهم يفتحون أكبر دولتان آنذاك: "الفرس والروم".

(د)-الصعيد الأدبي:

عرف على العرب منذ الجاهلية أنهم أهل لغة وآداب، والشعر عندهم سليقة يتحكمون باللغة ويتقنون البيان دون أي ميزان، فيبدعون في الشعر ونظمه وكذا النثر وأجناسه، وبالرغم أنه لم يأتنا منه إلا الشيء القليل لصعوبة حفظه على عكس الشعر، وما نزول القرآن الكريم المعجزة بألفاظه ومعانيه إلا ويتحداهم بما كانوا له يتقنون، فأبهرهم وأذهلهم.

ومجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم له التأثير الواضح في الجانب الأدبي، فعلى غرار المجالات الأخرى، كان للمجال الأدبي تعاليمه التي وضعها الإسلام وعلى رأسها الشعر فقد تراجعت مكانته وأصبح من الأشياء التي نبذها الإسلام.

ومن أسباب تراجع الشعر في عصر الإسلام نجد:¹

(أ)- سقوط منزلة الشعراء لتكسيهم بالشعر وخضوعهم في سبيل الممدوحين، "إذ كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجة العرب إلى الشعر في تخليد أيامهم ومآثرهم، فلماً تكسبوا به وجعلوه طعمة وتناولوا به الأغراض ورحلوا إلى السوق، صارت الخطابة فوق الشعر".

(ب)- علوا منزلة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وانشغال العرب بالفتوحات الإسلامية وفتوحاتها العريضة، مما أدى بانصرافهم عن قول الشعر وروايته إلا القليل.

وبعد انصراف الناس عن الشعر لعل هذا جُلَّ أسباب تراجع مكانته، حيث اكتفى الإسلام بتتبع القرآن الكريم المعجزة العظيمة وهو الحدث الذي أبهرهم وأدهشهم بحسن بيانه، وظهر هذا جلياً من خلال اللغة والأدب، فقد شهدنا أثراً بالغاً بالقرآن.

وللقرآن فضل كبير على اللغة العربية إذ ضمن لها الحياة الخالدة بين اللغات

القديمة التي صارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية، كونه أحدث فيها علوم جمة وفنوناً شتى على غرارها: اللغة، النحو، الصرف، البديع، والبيان، والأدب والتفسير

¹- نفس المرجع: ص255.

و الأصول كذا التوحيد والفقہ.¹

1-4- لمحّة تاريخية عن الخطابة قبل الإسلام:

يمرُّ بنا القول بأن الخطابة شيء في جميع الأمم، وأنها موجودة منذ قديم الزمن وأنّ الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا يستغني عن الإفصاح لغيره بمكنون ضميره، وسرية نفسه وعن الرغبة في استمالة الآخرين لصفه، وإقناعهم برأيه.

وهكذا "لم يخلُ من الخطابة سجل أمة وعى التاريخ ماضيها، فقد حفظها خط آشور المسماري، وقبدها خط الفراعنة الهيروغليفي، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعليمه، وبها أذاع الدين أنبياء بني إسرائيل، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام، وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص.²

وفي هذه الصفحات نلقي ضوءاً بمشيئة الله تعالى- على تاريخ الخطابة في العصر الجاهلي وذلك على النحو التالي:

(أ)- الخطابة عند العرب في العصر الجاهلي:

يعتبر العرب سادة البيان، وقد برعوا في الشعر والخطابة، وأسسوا لذلك نوادي وأسواقاً... يلقون فيها الشعر والخطب ويتفننون فيها ويتبارون، وكانت الخطابة عندهم فناً من فنون الكلام المنثور، وبحكم طبيعة العرب في الجاهلية فقد كانت الخطابة تتناول الحماسة والشجاعة وقيم البطولة إلى جانب الاعتزاز بالنفس والافتخار بالأنساب للقبيلة.³

ازدهرت الخطابة في العصر الجاهلي بإلزام من واقع ذلك العصر الفروسي وطبيعة الصحراء، حيث كان الإنسان العربي يكسب عيشه بالغزو والقتال.

¹- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ج1، (د،ط)، 2007، ص272.

²- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص390.

³- إيليا حاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص32.

ومن أسباب ازدهار الخطابة عند العرب في العصر الجاهلي انتشار الأمية بعدم القراءة والكتابة، فالعرب قبل الإسلام كانوا أميين ولم يكونوا يعبرون عن آرائهم من خلال الكتب والصحف، وإنما كانت وسائلهم التواصلية شفوية لذلك أسسوا نوادي وأسواق يجتمعون فيها ويتخاطبون ويعقدون اتفاقياتهم السلمية والحربية.

والعرب كانوا يخطبون بالبداهة والارتجال وهي طبيعتهم بلا صناعة ولا تأمل.

يقول الجاحظ: " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال، وكأنه إلهام. وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجابة فكرة ولا استعانة" ¹.

وكانت عادة العرب في الخطابة أن الخطيب يخطب واقفاً متكئاً على العصا.

يقول عبد الرحمن بوكيلي: " وكان خطيبهم يخطب واقفاً يستوعب المجلس ويسهل تبليغ خطابه، ويسهل على الناس متابعته، وكان يقف متكئاً على عصا أو قوس... " ².

ومن أبرز الخطباء في الجاهلية القس بن ساعده الأيادي قال عنه ابن حجر في الإصابة: " وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم حكمته، وهو أول من آمن بالبعث من الجاهلية، وأول من توكأ على عصا في الخطبة، وأول من قال "أما بعد" في ابتداء القول، وأول من كتب "من فلان إلى فلان"... " ³.

(ب)- الخطابة الإسلامية في صدر الإسلام:

مما لا شك فيه أن كل انقلاب يحتاج إلى دعوة دينية أو سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها والرد على دعاوي خصومها وأعدائها، وذلك يكون بمخاطبة الجماعة في المحافل والمنتديات والحجّ والمواسم والأسواق ومواطن الزحف وتقدم الوفود ونحو ذلك. ⁴

وعليه تعاضم نشاط الخطابة مع ظهور الإسلام، فالإسلام هو دين الخطابة بامتياز فكتاب الله تعالى هو خطاب العالمين، كلف بتبليغه محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه إلى يوم الدين.

¹- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2010م، ص425.

²- عبد الرحمن بوكيلي: الأساس في الدعوة والخطابة، ص13.

³- نفس المرجع: ص13.

⁴- الشيخ علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، (د،ط)، (د،ت)، ص23-24.

إذ كان ظهور الإسلام وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر الجلل والشأن الخطير والدعوة العظمى التي لم يعهد لها مثيل في العالم، من أهم الحوادث و أعظم البواعث التي أطلقن الألسنة من عقالها، وأثارت الخطابة من مكنها وأغرت العقول بأحكامها، والتفنن فيها واجتلاب الألباب بسحر بيانها فوق ما كانت عليه في جاهليتها.¹

وقد اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة، حيث ظل ثلاثة عشر عاماً يعرض على قومه من قريش وكل من يلقاه في الأسواق آيات من القرآن الكريم، وهو في أثناء ذلك يخطب في الناس داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والمواعظ الحسنة.²

كذلك كانت خطابة الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه، ثم الخلفاء من بعده.

ولقد حرص الإسلام على أن يكون للخطابة حضور ملموس في موكب الدعوة الإسلامية، وإسهام كبير في صياغة الحياة وفق منهج الله تبارك وتعالى.

إذ إنّ "الخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر."³

وإذا نظرنا إلى تلك البيئة في عصر صدر الإسلام بالعين الفاحصة المدققة نرى:

(1)- دينا جديداً يبث دعوته ويناضل خصومه، وينطلق الوعّاظ منتشرين في كل مكان لتغذية الشعور الديني.

(2)- أمة تتوحد تحت نظام اجتماعي جديد.

(3)- وجيوشاً تفتتح بلاداً جديدة واسعة.

(4)- ووفوداً تتسابق لإعلان ولائها على لسان خطبائها وآخرين يردون على كلامهم.

(5)- فتنة كبيرة تمزق الشمل، وتخلف وراءها أحزابا تتجادل، وعصبيات تتنازع... الخ.

¹- عبد العزيز عتيق: في الأدب العربي والأموي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2011م، ص272.

²- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص107.

³- محمد أحمد الراشد: صناعة الحياة، دار البشير، طنطا، ط3، 1414هـ، 1993م، ص88-89.

في كل هذه الأمور كان للخطابة شأنها، وكان لها الدور الريادي والخطير في تلك الحقبة الحماسية من حياة الأمة الإسلامية.¹

1-5- الفتوحات الإسلامية ودورها في تطور الخطابة:

ثم كانت الفتوحات ويخطب "أبو بكر رضي الله عنه" في الجيوش الغازية يحث على الجهاد ونشر الدين الحنيف في أطباق الأرض، وترتفع أصوات القواد في الخطابة في كل قصر حائثين الجنود على الصبر في القتال حتى الاستشهاد طلبا لما عند الله من الثواب، ويخيل إلى الإنسان كأنما ملك كل منهم من قلوب جنوده بيانه وبلاغته مالا تملكه الدنيا بحذاقيرها ولا تغلوا إذا قلنا أنّ بلدا من بلدان الفرس في العراق وإيران وبلدان الروم في الشام ومصر لم يفتح إلا بعد فتحة خطبه أحد هؤلاء القواد²، كخطبة المغيرة بن شعبة في القادسية وخالد بن الوليد في يرموك.³

وتولى عمر رضي الله عنه فيكثر من الخطابة لا في الجمع و الأعياد ومواسم الحج فحسب بل مع كل حادث، ومع كل خير يأتيه بفتح، وقد سار على خطى أبي بكر في استشارة أصحابه في كلّ مهم، وفي كل ما يجد من تشريع، وخاصة في معاملة الأمم المفتوحة، وكان هذا بدوره عاملا من عوامل نمو الخطابة في العصر إذ كان حكماً ديمقراطياً، وكان من حق كل شخص أن يخطب مصوراً وجهة نظره، وفسح عمر لخطابة الوفود في مجالسه تستمّيح لأقوامها وتذكر حاجاتها واشتهر الأحنف بن قيس سيد تميم وأحد أقواد الفتوح بغير خطبة ألقاها بين يديه.⁴

ولما حدثت الفتنة الكبرى بين المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي أدت إلى انقسام المسلمين إلى عراقيين بزعامة علي رضي الله عنه وشاميين بزعامة

¹- واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1994م، ص148.

²- شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، ص 108.

³- تاريخ الطبري: ج2، ص378.

⁴- الجاحظ: البيان والتبيين، ج02، ص144.

معاوية ظهر في كلتا الطائفتين خطباء كثيرون، وكان على رأس العراقيين شيخ الخطباء علي بن أبي طالب وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان، وانتهت هذه الحرب حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والنحل، وتفرق المسلمون إلى شيعة وخوارج .

كل تلك الأسباب وحملة الدواعي ساعدت على ارتفاع شأن الخطابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والراشدين من بعده، ضف إلى هذا ما في القول من ملكة أصلية في البيان، ونمهر في أساليب القول.



الفصل الأول



الفصل الأول:

أولاً: فن الخطابة: المفهوم بين اللغة والاصطلاح.

- ✓ نشأة فن الخطابة وعلم الخطابة.
- ✓ الخطيب وصفاته.
- ✓ عيوب الخطابة.
- ✓ مراحل إعداد الخطبة وتكوينها.
- ✓ أنواع الخطب وموضوعاتها بين القديم والحديث.

ثانياً: فن الأسلوب الخطابي: [تمهيد].

- ✓ التعريف بالأسلوب لغة واصطلاحاً.
- ✓ محددات وآليات الأسلوب.
- ✓ الأسلوب الخطابي: المفهوم.
- ✓ خصائص الأسلوب الخطابي.
- ✓ مميزات الأسلوب الخطابي.

أولاً: فن الخطابة:1- التعريف بالخطابة:

أ- لغة: قبل أن نعرض لمفهوم الخطابة في الاصطلاح يحسن أن نتعرف سريعاً على المعنى اللغوي، وذلك على النحو التالي:¹

جاء في كتب اللغة:²

...خَطَبَ النَّاسَ وَفِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ خَطَابَةٌ وَخُطْبَةٌ: ألقى عليهم خُطْبَةً .

وخطب فلانة خُطْباً وَخُطْبَةً، طلبها للزواج. وخطب خطابة صار خطيباً. وخطبه

مخاطباً وخطاباً، كالمه وحادثه، أو وجه إليه كلاماً. والخطاب: الكلام، وفصل الخطاب هو الخطاب لا يكون فيه اختصار مُخل ولا إسهاب ممل، والخطبة: الكلام المنثور يخاطب به متكلمٌ فصيحٌ جمعاً من الناس لإقناعهم.

ومن الكتاب: صدره جمع خُطْبٍ، والخطاب: وصف للمبالغة لكثير الخطبة "بضم الخاء وكسرهما". والخطيب الحسن الخُطبة، أو من يقوم بالخطابة في المسجد وغيره، والمتحدث عن القوم. جمع خطباء.

والخُطْب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام، ومنه الخُطبة، ويقال من الخُطبة: خاطب وخطيب، ومن الخُطبة: خاطب لا غير، والخُطْب: أيضاً الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب.³

¹-إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب"بحوث في إعداد الخطيب الداعية"، دار الكلمة، القاهرة، ط5، 1437هـ، 2016م، ص13.

²- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1407هـ، 1987م، ص103-104.

³- أنظر أيضاً: المعجم الوسيط ، باختصار مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج1، ط3، 1405هـ، 1985م، ص251-252.

أيضاً: الراغب الأصفهاني: مفردات القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، 1992، ص286.

ب- اصطلاحاً:

أما الخطابة في الاصطلاح فقد عُرِّفت بتعريفات شتى، بعضها لا يخلو من ملاحظات، وبعضها أقرب إلى الكمال ولا داع لسردها، وأكتفي هنا بذكر بعضها.

ومن أقدم ما عُرِّفت به الخطابة، تعريف أرسطو بأنها: [قوة تتكلف بالإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة].¹

ومن أجمع التعريفات -فيما رأى- تعريف الخطابة بأنها:

((فنٌ مشافهة الجمهور، وإقناعهم واستمالته)).

فلا بد من مشافهة، وإلاً كانت كتابة أو شعراً مدوناً.

ولا بد من جمهور يستمع، وإلاً كان الكلام حديثاً أو وصية.

ولا بد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده، ثم لا بد من الاستمالة والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعه أو يهدئها، ويقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف شاء، ساراً أو محزناً، مُضحكاً، أو مُبكيّاً، داعياً إلى الثورة أو إلى السكينة .

إذاً فأسس الخطابة ((مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة)).²

1-1 نشأة فن الخطابة وعلم الخطابة:³

أما الخطابة كفنٌ يمارس، وأسلوب يطبَّق، فشيء قديم جداً لم تخلُ منه أمة من الأمم إلا وإن الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره عمّا في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه.³

¹ - أرسطو طاليس: الخطابة "الترجمة العربية القديمة"، تح وت: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1979، ص 09.

² - أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص 05.

³ - محمد أبو زهرة: الخطابة- أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 1980م، ص 09.

وقد ذكر الجاحظ: "أن الخطابة شيء في جميع الأمم . وبكلّ الأجيال إليه أعظم الحاجة"¹.

وأما علم الخطابة المشتمل على قواعدها، فقد أتى متأخراً عن نشأتها، "وأول من دَوّن قواعدها ثلاثة من فلاسفة اليونان في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد: بروديكوس، وبراتاغوراس معاصره، ثم غورجياس سنة 380 ق.م، وفي أواخر القرن الرابع سنة 322 ق.م ظهر أرسطو زعيم فلاسفة اليونان فلم يترك شيئاً من أصول هذا الفن إلاّ ودوّنه، ونشره في كتابه (الخطابة)، ومن هذا الحين صارت الخطابة فناً مدوناً"². وهكذا نرى أن اليونانيين هم أول من كتب في علم الخطابة، واستنبط قواعده.

والجدير بالذكر أنهم كانوا يَعدّون علم الخطابة ضمن مباحث مسائل علم المنطق، وقد ذكر ابن خلدون أن أرسطو صنّف كتابه في المنطق وجعله مشتملاً على ثمانية كتب وعدّها منها كتاب الخطابة³.

((وقد أتى ابن سينا في كتاب "الشفاء" بلب كتاب الخطابة لأرسطو مع تصرف غير ضار، وبنقل كتاب الخطابة لأرسطو صار في العربية قواعدهُ الخطابة مدونةً في بحث مستقل، وإن كان جزءاً من علم المنطق على ما رأيت))⁴.

ثم اتجه بعض الباحثين في العصور الحديثة إلى إحياء قوانين الخطابة ونشر المدفون من آراء العلماء فيها، وذلك بعد النهضة التي بعثت روح اليقظة في الخطابة في العصور المتأخرة. وأظهر كتاب ظهر في ذلك كتاب (علم الخطابة) للعالم الباحث "لويس شيخوا" ، فقد جمع في الخطابة وقواعدها، ومع أنه لم يخلُ من مأخذ وملاحظات إلاّ أن له فضل السبق⁵.

¹- أبي عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج3، ص12-13.

²- علي محفوظ: فن الخطابة، ص21. و أبو زهرة: الخطابة، ص13-14.

³- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1138، 1139، ص 68.

⁴- أبو زهرة: الخطابة، ص 16.

⁵- نفس المرجع: ص17.

ثم تتابعت الكتابة في علم الخطابة بعد ذلك، وكثرة التأليف والمؤلفون، وخاصة مع الاهتمام بتدريس الخطابة في معاهد ودور العلم، ومع زيادة الحاجة إليها في الميادين السياسية والقضائية والإصلاحية وغيرها.

1-2- الخطيب وصفاته:

نحاول في هذا الركن من الدراسة الوقوف على قواعد الخطابة وأصولها الفنية، إذ ليس لأي كان أن يصبح خطيباً، يفتح الجمهور على المنابر إذ لا بد من عدة تكسبه مهارة الخطابة التي توصله إلى الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، لذا يجب أن تتوفر في الخطيب مجموعة من الصفات والخصائص التي لا توجد في غيره ويمكن ذكرها كالآتي:

أ- الفطرة والاستعداد الغريزي: إن الاستعداد الفطري هو أول الأمور التي ينبغي أن تتوفر في الخطيب، فالإنسان لا يمكن أن يصبح خطيباً إلا بتعلم قواعد الخطابة وكثرة التمرن عليها، وكما يقول أبو هلال فإن "أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان... وذلك من فعل الله تعالى لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها".¹ فالخطابة كالشعر وغيره من الفنون التي لا يجدي معها التعلم إذا لم يسبقه الطبع والاستعداد، وكما قال أبو داود بن حريز: "رأس الخطابة الطبع. وعمودها الدربة. وجناحها رواية الكلام وحُلِيها الإعراب. وبهائها تخير الألفاظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه"²، ومن ذلك ما قاله الجاحظ في اختلاف الطبائع فمن الناس من "يكون له طبع في صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرهما، ويكون له طبع في الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرص بيت شعر"³.

ب- اللسن والفصاحة: الخطابة فنٌ عماده اللسان، فهو أداة الخطيب الأولى، لذلك اشترط النقاد أن تكون هذه الأداة سليمة من العيوب كاملة الصفات، وكما ينبغي في أداء مهمته ينبغي أن يكون: جهير الصوت واسع الشدقين، ذرب اللسان، بليل الريق، فذرا به اللسان عنوان الفصاحة وطريق البلاغة.

¹- أبو الهلال العسكري: الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو فضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1952م، ص30.

²- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص44. والصناعتين: ص72.

³- نفس المصدر: ص107.

قال الجاحظ في جهارة الصوت: "وكانوا يمدحون جهير الصوت، ويذمون الضئيل منه، ولذلك تشاد قوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم، وذموا صغر الفم".

ومن العيوب العارضة أيضاً الاستعانة بأشكالها المختلفة، والتي منها كثرة مسح اللحية أو قتل أصابعه، أو كثرة التفاته من غير موجب، وكثرة السعال والنحنة.

ج- القدرة على مراعاة مقتضى الحال: هدف الخطيب أن يتغلغل في نفوس سامعيه فيصرفها كما يشاء، معتمد على إثارة عواطفهم وإشغال مشاعرهم، وسبيله إلى ذلك أن يلم بعلم النفس الاجتماعي، ليعرف روح المجتمع وعقليته ويقف على طبائع النفوس وعواطفهم، ويعلم ما يثير هذا المجتمع أو يهدئه، وما يرضيه ويغضبه، وأي الأساليب الملائمة له.

إن وعي الخطيب بالمقام الذي يقوم فيه، وإدراكه لما يناسب ذلك المقام من المقال وسيلة هامة من وسائل تحقيق غايته، فالخطيب الناجح هو الخطيب الذي يتعرف على نفسية السامعين كما قلت، ويحرص على واختيار ما يناسبها من أساليب التأثير، وكما يقول بشر بن المعتمر: "وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاماً وكل حال مقاماً حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ... وأقدار المستمعين على أقدار الحالات".

د- الصدق و الإقناع بموضوع الخطبة:

أدرك المتقدمون أهمية حرارة العاطفة وصدقها في الإقناع وإحداث المشاركة الوجدانية بين الخطيب والمستمعين، فكثرت تنبيهاتهم على أهمية حرارة العاطفة في إنجاح مهمة الخطيب¹، ولعل أكثر تلك التنبيهات تعبيراً عن دور العاطفة قول عامر بن عبد قيس: "والكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان"².

ه- حسن الهيئة وجودة الإلقاء: من الأمور التي توقع الخطيب موقع الإجلال في عيون السامعين، وفي كثرة من الأحيان كان قبج الهيئة أحد العوامل التي سببت تأخر منزلته بين الخطباء، وإن كان حسن البيان قد يطغى أحياناً على قباحة المظهر.

¹- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص11.

²- الجاحظ: البيان والتبيين، ج02، ص88.

وكان من عادة الخطباء أن يلبسوا الملحفة أو الجبة أو القميص، أما النقاد فقد اشترطوا وضع العمامة فوق رأس الخطيب والمحصرة في يده، وكذلك اشترطوا أن يخطب قائماً، إلا في خطب النكاح. واستحسنوا إشارات الخطيب التعبيرية، ونهوا عن الإكثار منها.

و- الآداب الخطابية: كما اشترطوا أحسن الأخلاق ومطابقة أقوال الخطيب البليغ، تلك المواصفات التي تناقلوها عن صحيفة الهنود، والتي منها: "...أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق، ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم. والحمل عليهم بقدر منازلهم. وأن تواتيه آتته، وتتصرف معه أدواته، ويكون معتدلاً لنفسه، وفي حسن الظن بها مقتصد...".¹

1-3- عيوب الخطابة:

وكما أن للخطابة فضائل وآداب فإن لها مساوئ وعيوباً وأهم عيوب الخطابة هي: العيوب التي تقع في النطق: وتشمل علل اللسان اللثغة والتمتمة والفاأة، واللفلة واللججة والحلكة، واللثغة قد عدها الجاحظ صوراً لهذه العيوب.² فمنها اللثغة، وذكر أنها تدخل في أربعة أحرف: هي القاف التي تنطق طاء، والسين تنطق ثاء، واللام تقلب ياء، والراء أيضاً تقلب ياء، أما التمام هو الذي يتعنع في التاء، والفاأة هو الذي يتعنع في الفاء، والألف هو الذي يدخل بعض كلامه في بعض، واللججة وهي التردد في الكلام وعدم الإبان لثقل في اللسان³، ونو الحلكة هو الذي لا يبين كلامه ويعجز عن اللفظ التي لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال.⁴

1-4- مراحل إعداد الخطبة وتكوينها:

إن الخطابة تظل كالشعر، روحاً غامضة في عصر الأديب، تفيض في وجدانه، وتُمل في خياله، غير متقيداً واعياً.

¹ - إيليا حاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص 08.

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 01، ص 34. وما بعدها.

³ - جاء في المعجم الوسيط: ج 02، ص 849، لجج فلان: تردد في كلامه ولم يبين فهو لجلاج أي ثقل اللسان والمختلف الذي ليس بمستقيم.

⁴ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 01، ص 14.

ومن ثم كان من الضروري الاهتمام بإعداد الخطبة وتشبيد بنائها بدقة وعناية، على هدى وبصيرة، وإخلاص في الإعداد لله رب العالمين، مع شعور دائم من الخطيب بالمسؤولية، وعظم الأمانة وقدر المهنة التي يقوم بها، كي تتحقق الأهداف.

وقد درج علماء الخطابة المحدثون على تقسيم الخطبة إلى ثلاثة أجزاء: هي المقدمة، والعرض، ثم الخاتمة.¹

ولنتحدث عن كل جزء من الأجزاء بشيء من التفصيل:

1- المقدمة:

مقدمة الخطبة هي أول أجزائها، وهي بداية ما يطرق سمع الجمهور، وأول ما يستهلُّ به الخطيب خطبته، فإذا كانت تنسم ببراعة الاستهلال، وروعة الافتتاح، كانت رسول خير إلى قلب المستمع، وسبيل إلى جذبته نحو الخطبة وإنصاته للخطيب، وتهيئة نفسه للاقتناع والاستمالة إذا انتقل إلى عرض موضوعه، أما إذا فقدت المقدمة خصائصها، ومقوماتها التي تجعلها أهلاً للقبول، وتكسوها بهاء لم يأنس منها المستمع ارتياحاً، ولم تستطع أن تنشده نحو الخطيب.

وقد ذكر العلماء أن المقدمة الناجحة تشتمل على ثلاثة عناصر أساسية:

أولها: هو أم شيء ينبغي أن تتضمنه هو: حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال.

ثانيها: بيان المقصد.

ثالثها: تقسيم الخطاب.

2- عرض الموضوع:

وهذا الجزء هو أهم أجزاء الخطبة ومكوناتها، فالموضوع هو المشكلة أو القضية التي يريد الخطيب التحدث عنها، مستهدفاً إقناع الجمهور بها واستمالتهم نحوها، وبقدر ما يكون الخطيب مُعداً لموضوعه الإعداد اللائق به ومرتباً له، ومستحضراً لمادته العلمية وأدلته المثبتة له، الداحضة لما يناقضه، ولمن يعارضه، بقدر ما يتوفر هذا ونحوه، يكون تحقيق النجاح للخطيب في مهمته، مع الأخذ في عين الاعتبار أمراً على جانب كبير من الأهمية، له دور خطير في

¹- راجع الخطابة للشيخ علي محفوظ: ص51، والخطابة للشيخ أبو زهرة: ص95.

نجاح الخطيب، ألا وهو سعة ثقافة الخطيب، وكثرة حصيلته العلمية والأدبية، وتوافر مقوماته الفنية.

ومن عوامل النجاح في عرض الموضوع، على الخطيب أن يحشد كل إمكانياته وطاقاته، وأن يأخذ بجميع أسباب الممكنة للنجاح في عرض الموضوع، ومن هذه الأسباب:¹

(أ)- الوحدة الموضوعية: ونقصد بها: أن يلتزم الخطيب في عرضه لموضوع الخطبة، فلا يكثر من الاستطرادات، ويخرج عن الموضوع بالحديث فيما لا صلة له به، أو يتناول في الخطبة الواحدة عددا من الموضوعات دون رابط بينها.

(ب)- ترتيب عناصر الموضوع ترتيباً محكماً متناسقاً: بحيث تكون متسلسلة متتابعة، يسلم كل عنصر على الآخر.

(ج)- حشد الأدلة التي يدعم بها موضوعه: ويخدم بها عناصره وأفكاره، كي يصل إلى غرضه ومطلبه.

(د)- أن يكون الموضوع واضحاً في ألفاظه: متجنباً التعقيد في عباراته، بعيداً عن الغموض في كلماته.

3- الخاتمة:

هي آخر ما يطرق سمع المخاطب، ويعلق بذهنه، فإذا كانت جيدة متقنة أسهمت في تثبيت الموضوع في قلبه ووجدانه، وساعدت في الوصول إلى الهدف المبتغي من وراء الخطبة.

لذلك يجب الحرص على تدبيرها والاعتناء بها وبمضمونها فعلى الخطيب أن يعدّها، ويعرف مسبقاً ماذا سيكون في محتواها، تماماً كما يُعدّ لصلب موضوعه.

ولكي تكون الخاتمة ناجحة، ينبغي مراعاة الآتي:²

أ- أن تكون واضحة المعاني ليس فيها غموض أو لبس.

¹ - إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، ص164.

² - نفس المرجع: ص157-178.

- ب- أن تشتمل على موجز لما ألقاه الخطيب من أفكار، وما توصل إليه من نتائج.
- ج- أن لا تتضمن أفكاراً جديدة، فإنها حينئذ تكون امتداداً للموضوع وعنصر من عناصره، وليست خاتمة له.
- د- أن تكون الخاتمة متصلة بالموضوع، وأن تكون مركزة ومختصرة قدر الإمكان.
- هـ- أن لا تكون مفاجئة، ولا جافة، بل سلسلة وجذابة، ومثيرة للعواطف.
- و- ثم ليكن آخر كلامه بعض العبارات الرقيقة، أو الألفاظ البهية الأنيقة، ليتهاياً له حسن الختام، كما تهاياً له من قبل حسن الافتتاح.

1-5- أنواع الخطب وموضوعاتها بين القديم والحديث:

إن التقسيم الحديث للخطابة يستند إلى موضوع الخطبة، ويعتمد على توجيه الخطيب نفسه، وهي تنقسم إلى:

1- الخطب السياسية:¹ وهي الخطب التي تلقى في شأن من شؤون الدولة، أو الخاصة بتوجيه أمور الدولة أو الحكومة، سواء فيما يتعلق بأمور محلية داخلية، أو بأمور دولية خارجية.

"ولهذه الخطب شأن كبير، فإذا عليها مدار حياة الأمة ورقبها مادياً وأدبياً، والعمل في الحرب والسلم، وتكون في الدول الدستورية الحرة، سواء أكانت جمهورية يديرها نواب الأمة أم ملكية يخضع ملكها للدستور. فيملك على الدولة ولا يسوسها، إذا الحكم فيها لنوابها، و مثلها الولايات المتحالفة أو الممتازة في تدبير شؤونها الخاصة، أما الدول ذات السلطة المطلقة فلا. لأن زمام الأمر في يد الفرد يأمر وينهي كما يشاء".²

وتتشعب الخطب السياسية إلى عدة فروع منها:

- أ- الخطب التي يلقيها الحاكم أو من ينوبه في توجيه أمور الدولة أو الرعية ومصالحها.
- ب- الخطب التي تلقى في الانتخابات، سواء أكانت للمجالس النيابية أم الشورية.
- ج- المؤتمرات السياسية المحلية، وكذلك المؤتمرات الدولية.

¹- نفس المرجع: 259.

²- علي محفوظ: فن الخطابة: ص82.

د- الخطب النيابية... وغيرها.

(2)- الخطب القضائية: وهي الخطب التي تلقى في مجالس القضاء، أو في ساحات المحاكم والمرافعات أمام القضاء، وغالباً ما يلقيها رجال النيابة والمحكمون، وهذا النوع من الخطابة قديم عرفته الأمم السابقة واستمر إلى يومنا هذا. والغرض منها تمييز الحق وتبرئة المتهم البريء، وحماية المجتمع من الجريمة، لذلك يجب أن يتعاون القاضي والنائب والمحامي على إحقاق الحق ونصرة المظلوم، و محاربة الجرائم.¹

وجملة القول: أن الخطابة القضائية لابد فيها من مراعاة أمرين:

الأول: معرفي، يتطلب الإلمام بالثقافة والمعارف القانونية والتشريعية التي تجعله يسير في عمله على هدى وصواب.

الثاني: سلوكي، يقصد به التمسك بمكارم الأخلاق، ومعالم السلوك الفاضل، النابع من ضمير قويم سليم، يحمل صاحبه على الوقوف دائماً في صف الحق والعدالة، وأخيراً: نُذَكَّر بحديث "رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" الذي يقول فيه: ((إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحنّ بحجّته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمعُ فمن قضيتُ له منت حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، وإنما أقطع له قطعة من النار)).²

3- الخطب العسكرية: وهي الخطب التي تلقى على الجنود في ميدان الجهاد لتحريضهم على قتال عدوّهم، وتحفيزهم على الثبات والإقدام، حثهم على التضحية، وبذل كل ما لديهم من طاقة لتحقيق النصر، والظفر بالمطلوب.

¹- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص73.

²- أخرجه البخاري في ك الحيل: ب10، فتح البازي، ج12، ص355، رقم 6967.

ولا شك أن لهذا النوع من الخطب أهميته وخطورته، فله دوره البالغ في إنهاض الهمم وبعث العزائم، وتثبيت القلوب والأقدام، وخاصة إذا كان الخطيب مجيداً ماهراً في خطبته.

4- خطب المحافل والوفود: وهي الخطب التي تلقى في المحافل لتكريم أو تأبين، أو في تهنئة بنعمة خاصة أو عامة، أو في علاج مشكلة اجتماعية.¹

وقد حدثتنا كتب الآداب في محافل العرب ووفادتهم على ذوي النفوذ والرئاسة في العصر الجاهلي، ونقلت لنا صورة واضحة عن المعاني التي دارت حولها الخطب الاجتماعية آنذاك. كما توضحت لنا الصورة أكثر عن محافلهم في العصر الإسلامي، وعن وفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى خلفائه الأبرار رضوان الله عليهم جميعهم، تلك الخطب التي ركزت على معانيها حول المفاخرة، أو إعلان الولاء والطاعة والدخول إلى الإسلام، أو طلب العفو أو المصالحة أو التهنئة والتعزية والاستمناح والاستجداء.

5- خطب الزواج: وهي الخطب المحفلية الاجتماعية، ويستحب فيها أن يكون الحديث عن الزواج وما يتعلق به من أحكام وآداب، وعن منهج الإسلام في بناء البيت والأسرة، وكيفية الوقاية، من المشكلات الزوجية، وعلاجها وتربية الأولاد، والدعاء للعروسين بالخير والبركة، ونحو ذلك من الموضوعات.

6- خطب إصلاح ذات البين: وهي التي تلقى في محفل الإصلاح بين فريقين أو طائفتين، وحصول الألفة والوئام الرفاء ليصير الجميع إخواناً متحابين. ويركز الخطيب فيها على إصلاح ذات البين، وحث الإسلام عليه، والتنفير من العداوات والبغضاء، والقتال وسفك الدماء، والترغيب على العفو والتسامح والصفاء، مدعماً كلامه بالأدلة القرآنية والنبوية، والشواهد التاريخية، والأمثال.. حتى يُلين الله به القلوب ويهدي به النفوس.

¹- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص 48.

7- خطب الوعظ الديني: وهي الخطب التي تُعنى ببيان مبادئ الدين الإسلامي،

وتعاليمه وأحكامه، ودعوة الناس إليها، وتحذيرهم من غيرها، كما تهتم ببيان حكم الشرع الإسلامي في الأمور المختلفة، فهي أمرٌ بكل معروف أرشد الإسلام إليه، ونهيٌ عن كل منكر حذر منه، وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون في جميع نواحي الحياة، وسائر شؤون الخلق المعشوية والمعادية.¹

ومن هنا أوجب الله عزَّ وجلَّ فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (ج) وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.²

ثانياً: فن الأسلوب الخطابي:

قبل الخوض في الحديث عن الأسلوب الخطابي الذي يمثل نوع من أنواع الأساليب النثرية، علينا أن نتطرق لتعريف الأسلوب كمصطلح من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

2-1- التعريف بالأسلوب:

أ- لغة: يعرفه ابن منظور في "لسان العرب" بقوله ((يقال للسطر من النخيل وكطريق ممتد فهو أسلوب، فلاسلوب هو الطريق والوجه والذهب، ويقال أنتم في أسلوب سوء... ويقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه.))³

أما ابن خلدون في "مقدمته" فيرى ((أنه عبارة عن المنوال التي تسبح فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خاص التركيب الذي وظيفته البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب))⁴ ويرى أيضاً بأنه ((الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويُصيرها

¹ - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1408هـ، 1987، ص 109-110.

² - سورة آل عمران: الآية 104.

³ - ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، مج01، ط1، 1424هـ، 2003م، ص550.

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2001م، ص786.

في الخيال كالقالب أو المنوال ثمّ ينتج التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبارها الإعراب والبيان فيرصّها فيها رصاً¹

وعلى غرار ابن خلدون نجد الخليل بن أحمد يذكره ((والأسلوب من النوق التي يؤخذ ولدها وجمعها سلب، ويقال السلب الطوال، ففرس سلب القوائم، وبغير مثله والسلب الشجرة أخذت أغصانها وورقها، وامرأة سلب: سلب عن زوجها وغيره... وغرس سلب القوائم خفيف نقلها... والسلب ليف المقل وهو المسد))²

و تجدر بنا الإشارة إلى مفاهيم العرب إلى الأسلوب، حيث أشار: "مجدي وهبة"، في معجم مصطلحات الأدب إلى مفهوم الأسلوب فقال: " الأسلوب هو بوجه عام طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه بالكتابة،

وهذا هو المعنى المشتق من الأصل اللاتيني للكلمة الإنجليزية، stylo الذي يعني القلم، وفي كتب البلاغة العربية القديمة كان الأسلوب يعتبر إحدى وسائل إقناع الجماهير، فكان يندرج تحت علم الخطابة وخاصة الجزء الخاص باختصار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال "élocution" وتكلم عنه أرسطو في القسم الثالث من كتابه "الخطابة" ثم تعرّض له "كوتتليانوس" "quilianus" في القسم الثامن من بحثه أو كتابه " نظم الخطابة " ³ وعليه يبدو أن علماء الغرب عامة أخذوا المفهومات التي تفرق بين مضمون الكلام وصيغته، وطريقة التعبير عنه، فكانت اللغة عندهم أثواب للمعاني المؤيدة للمقصود، والأسلوب هو الطراز أو الوشاح لأي ثوب من تلك الأثواب، حتّى تطور هذا الأمر فصار هذا الأسلوب يلتقي مع الكاتب، وما أطلق عليه العالم الفرنسي "جورج بوفرن" (1988/1907) أنه الرجل⁴.

ب- اصطلاحاً:

⁵- نفس المصدر: ص789.

¹- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003، ص262.

²- نور الدين السد: الأسلوب وتحليل الخطاب، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، (د، ط)، 2012م، ص130.

³- حميد آدم ثويني: فن الأسلوب، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ص 22.

إن ما يكاد يتفق عليه معظم الدارسين أنه ((ليس هناك تعريف واحد للأسلوب يتمتع بالقدرة على الإقناع، ولا نظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله)).¹ ولكن هناك عدة تعاريف للأسلوب منها:

يُعرف الأسلوب على أنه "ناحية شكلية خاصة هي طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه". أي تعبير الأديب بطريقته الخاصة عن أفكاره.

كما يعتبر الأسلوب ما يتفرد به المبدع من إشارات في خطابه، فهو يتخذ طريقة معينة وميزات خاصة يعبر بها عن أفكاره.²

وقد اعتبر الأسلوب كذلك تلك الخصائص والمميزات التي تبرز مظاهر لغوية ودلالية يتميز بها نص معين، أو مجموعة من النصوص³، فلكل كاتب أسلوبه الخاص حتى وإن تأثر بغيره فهناك لمستته الخاصة في عمله الأدبي، وهذه الخصائص والمميزات تتمثل في السمات التي يتفرد بها العمل الأدبي عن سواه من باقي الأعمال الأدبية، أو كُتاب آخرون، ويرى "إبرامز M.H. IBRAMS أن هذه الخصائص التي قد تكون:⁴

صوتية: كالوزن والقافية.

جمالية: كأنواع التراكيب من جمل اسمية وفعلية، مثبتة ومنفية.

معجمية: كتكرار الأسماء والأفعال والصفات.

بلاغية: كالاستعارة والمجاز.⁵

⁴- صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مصر، ط1، 1419هـ-1998م، ص95.

¹- أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 2003م، ص44.

²- Voir : Jean le style.et la marque de l'individualité du sujet dans le diseur, paris ,1^{er} édition, outre, dictionnaire de linguistique, libraire la rousse, Dubois et 1973.

³- ينظر: محمد الهادي بوطارون وآخرون: المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية انطلاقاً من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م، ص355.

⁴- محمد عبد المنعم خفاجي: الأسلوبية والبيان العربي، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1412هـ-1992م، ص11.

ونظراً لهذا التفرع الذي تعرفه هذه الكلمة فقد تعد "قضية الأسلوب قضية قديمة جديدة، عرض لها دارسون كثيرون وتعددت مناحي النظر فيها، ولكنها في مجملها كانت مرتبطة بالدرس الأدبي، أعني نقد الإنتاج الأدبي باعتبار أن الأدب يمثل استخداماً خاصاً للغة".
والجمع بين القدم والجدة في قضية الأسلوب أنه تناوله الأولون بالدراسة واستمر ذلك مع المحدثين.

والأسلوب كما هو معروف لدى النقاد يساعدنا على نقد العمل الأدبي باعتباره العمل الأدبي: ((رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة من الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتي تُكوّن نظام للغة)).¹ حتى تستوفي هذه الرسالة عناصر الاتصال وتُفهم من طرف كل من البّاث والمتلقي اللذان لا بد لهما أن يشتركا في هذه العناصر حتى يفكّا الرسالة ويفهمانها.

2-2- محددات وآليات الأسلوب:

إن محددات الأسلوب تهتم بما يستند إليه في تحديد الأسلوب، إذ إنّ في النص الأدبي عناصر تدخل في الأسلوب وأخرى لا تدخل ضمنه². وهذه المحددات يتناولها الباحثين بالدراسة، فسنحاول أن نبينها دون أن نتعمق في مناقشتها مناقشة واسعة فمنهم من يرى أنّ:

1-أ- الأسلوب كاختيار: تشكل اللغة أية لغة من عدد هائل من المفردات والتعابير

والصيغ، فإذا أراد شخص ما أن يعبر رأي أو موقف أو شعور، فإنّه— لا بد— سيختار أنسب المفردات في أنسب التعابير ليتسنى له التعبير عما يريد، وهذا لا يعني أنّ الناس قد يختارون العبارات نفسها للمشاعر عينها، إذ تختلف قدراتهم باختلاف ملكتهم اللغوية ورصيدهم الثقافي." إنّ الاختيار— إذن— يعني وجود تعبيرين أو أكثر لهما المعنى نفسه، بيد

¹ سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1412هـ، ص 37

² محمد بن يحيى: السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، (د، ط)، 2010م، ص 35.

-كيف نتعامل مع هذه النظرية بإزاء تحليل النصوص لكتاب يكتبون بأسلوب عادي؟.

-التركيز على العدول يجعلنا نُهمل ملامح أخرى للنص المدروس، وفي ذلك تقصير.

-إنَّ ما يعدُّ عدولا حيناً قد يصبح قاعدة حيناً آخر، فهذه الزئبقية تربك المنظر والمطبق معاً.

ومع كل هذه المشاكل يظلُّ "الانحراف الأسلوبي ظاهرة أسلوبية ونقدية وجمالية يعنى بها النقد الحديث (المعاصر)، وإن كانت موجودة في نقدنا العربي القديم من خلال الاستعارة والمجاز"¹، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والالتفات والزحافات والعلل...لغ.

وسواء أكان الأسلوب اختياراً أم عدولاً، فإنَّه يظلُّ حديثاً وقع في خطاب ما، ينتجه مخاطب قصد التعبير عن نفسه أو فكره أو روحه ليؤثر في المخاطب الذي به تتمُّ دورة الخطاب، من أجل هذا بات لزاماً على الباحث الأسلوبي أن يجعل نصب عينيه كلَّ ما من شأنه أن يوضح مفهوم الأسلوب أو يعمقه، دون أن يتجاهل أية وسيلة للوصول إلى غايته.

2-3- الأسلوب الخطابي:

هو الطريقة التي بها تتضح القدرة على الكشف النظري عن وسائل الإقناع الخاصة لكل حالة وأدائه اللساني ودقة توصيل الألفاظ في وسيلة عاكسة وهي اللغة التي تعتمد على عنصري الإقناع والاستمالة، والإقناع يبني على ما يقدم من حجج وبراهين والاستمالة تبرز من خلال إشارة العواطف، والمشاعر فهو أسلوب يرتكز على الهدف والمقصود في الغرض وأساها القول.²

والأسلوب الخطابي مجاله الخطابية التي تبني على أساسين هما الإقناع العقلي والتأثير الشعوري، والاعتماد على نوع السامعين، وطبيعة الإقناع، ودرجة الامتناع، والاستدلال على الحقائق، والأدلة الدقيقة لنتائج ما يعرض وقد يميل إلى الجدية، ويعرف النظر عن المتعة، والهزلية، ولا بد من أن يربط الأسلوب الخطابي في الإثارة التي تبعث من نواحي المقاصد

¹- بسام قطوس: إستراتيجية القراءة: التأصيل والإجراء النقدي، دار الكندي، الأردن، (د،ط)، 1998م، ص 135.

²- حميد آدم ثويني: فن الأسلوب، ص 73.

وأهدافها، فالموضوعات العاطفية يكون للجانب الوجداني فيها التأثير لما له من صلة بالعلاقات الإنسانية، وما لها من أثر في إثارة انتباه السامعين وربطهم بالقول.¹

4-2- خصائص الأسلوب الخطابي:

فبالأسلوب الخطابي يجب أن يكون ملائم للموضوع وللسامعين، والمتكلم بحيث:²

(أ)- ملائم لموضوع الخطبة: لأن الموضوعات تختلف، فالخطبة الحربية تلائمها الكلمات القوية الحماسية، والصور الخيالية، والخطبة القضائية يلائمها الأسلوب المتزن، وخطبة التآبين يشاكلها الأسلوب المفجع وهكذا دواليك.

(ب)- ملائمة السامعين وبيان المقصد:³ فيتأنق الخطيب في خطبه الخاصة، ويعدل إلى السداجة مع العامة، ويطنب في الجمع المستكثر المستزيد، ويوجز في الجمع المؤثر للإقلال وهذا من جهة وعليه أن يحدد اتجاه مقصده من جهة أخرى كأن يظهر الخطيب ما يبني عليه كلامه بذكر ما سيلقي بعبارة جامعة جلية موجزة لتكون كالعنوان للكتاب، وليبين المقصد عند العرب أسماء أخرى وقد يسمونه بالسِمة وهي عنوان الخطاب ليكون عند السامع إجمال ما يفصله الخطيب بعد. والصفات الملائمة لبيان المقصد ثلاث:

للكتاب، وليبين المقصد عند العرب أسماء أخرى وقد يسمونه بالسِمة وهي عنوان الخطاب ليكون عند السامع إجمال ما يفصله الخطيب بعد. والصفات الملائمة لبيان المقصد ثلاث:
أولاً: أن يكون مترتباً على قضية واحدة فقط كما لو أردت الكلام على العدل فإنك تقول: إنَّ العدل أساس عمران الممالك مثلاً.

¹ - نفس المرجع: ص 113.

² - أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص 141.

³ - الشيخ علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 54.

ثانياً: أن يكون واضحاً لأن الغرض إذا كان خفياً بعيد المأخذ تبرم منه السامع، مثلاً إذا كان الكلام على حسن الخلق، قلت: من حسن خلقه وجبت محبته، ومن ساء خلقه تنكدت معيشتة، أو على شرف العقل، قلت: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل.

ثالثاً: أن ينشط السامعين بابتكار صورته ولطيف مخرجه.

(ج) - ملائمة المتكلم أو الخطيب: فحال الخطيب أو نفسيته من بهجة أو سرور، ومن غضب أو رضا، ومن انتقام أو رحمه... الخ.

وعلى العموم فأسلوب الخطابة مستمد من طبيعة هذا الفن الذي يجمع بين الإقناع والاستمالة فهو أسلوب متمزج فيه الأدلة التي تكفل الإقناع بالاثارة التي تحقق الاستمالة، إذ لا بد أن يكون منوعاً جامعاً لتقرير الحقائق وإثارة العواطف، يتجه إلى الفكر وإلى الوجدان لينفذ منها إلى العزيمة.¹

2-5- مميزات الأسلوب الخطابي:²

هنا تبرز قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجّة والبرهان، وقوة العقل الخصب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم. ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوة عارضته، وسطوع حجّته، ونبرات صوته، وحسن إلقاءه، ومُحكّم إشارته.


ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب التكرار، واستعمال المترادفات، وضرب الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين، ويحسن فيه أن تتعقب ضروب التعبير من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار. وأن تكون مواطن الوقف قوية شافية للنفس، و من خير الأمثلة لهذا الأسلوب خطبة عمر رضي اله عنه أثناء التولية.

¹ - أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة ، ص 141.

² - علي بن نايف الشحود: الخلاصة في علوم البلاغة، المكتبة الإلكترونية، (د،ط)، 1428هـ-2007م، ص 15-

الفصل الثماني





الفصل الثاني:

الجانب التطبيقي


✓ عبقرية عمر رضي الله عنه.

✓ نبذة عن سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

✓ عمر و الدولة الإسلامية.

✓ مبايعته للخلافة.

✓ دراسة أسلوبية لخطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه



1-1- عبقرية عمر: 1

((...لم أر عبقرياً يفري فريّة²...))

كلمة قالها النبي عليه الصلاة والسلام في عمر رضي الله عنه، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم العظماء، خُلق لساسة الأمم وقيادة الرّجال.

فمن علامات العظمة التي تحيي موات الأمم، أن تختص بقدرتين لا تعهدان في غيرها، أولاهما أن تبعث كوامن الحياة، ودوافع العمل في الأمّة بأمرها وفي رجالها الصالحين لخدمتها، والأخرى أن تنفذ ببصيرتها إلى أعماق النفوس فتعرف بالبديهة الصائبة والوحي الصادق فيم تكون عظمة العظيم، ولأي المواقف يصلح، وبأي الأعمال يضطلع ومتى يحين وأوانه، وتجب ندبته، ومتى ينبغي التريث في أمره إلى حين؟.

كلتا القدرتين كان لهما الحظ الوافر في سيرة عمر بن الخطاب.

فأين- لولا الدعوة المحمدية التي بعثت كوامن العظمة في أمة العرب- كُنّا نسمع بابن الخطاب؟ وأي موضع له كان من مواضع هذا التاريخ العالمي الذي يزخر بكبار الأسماء؟.

إنه الآن اسم يقتزن بدولة الإسلام ودولة الفرس، ودولة الروم، وكل دولة لها نصيب في التاريخ، فأين كُنّا نسمع باسم عمر لولا البعثة المحمدية؟.

لقد كان ولا ريب خليقاً(جديراً) أن يستوي على مكان الزعامة بين بني عدي آله الأقربين، أو بين قريش قبيلته الكبرى، ثم ينتهي شأنه هناك، كما انتهى شأن زعماء آخرين لم نسمع لهم بخبر، لأنهم عظموا أو لم يعظموا، يعطون البيئة كفاء ما نطلب من جهد ودراية، وهي تطلب منهم ما يذكرون به في بيئتهم، ولكنها لا تطلب منهم ما يذكرون به في أقطار العالم البعيد.

من هذه الانطلاقة من يكون عمر بن الخطاب؟.

1- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر رضي الله عنه، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، (د، ط)، (د، ت)، ص 19.

2- فرى الجلد: قطعة ليصلحه، أو فرى الفري أتى بالعجيب، والمعنى أن عمر عبقرى منفرد في عمله، فلا يقدر أحد على أن يصنع مثل صنيعه.

1-2- نبذة عن سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(40ق.ه-23ه:584-644م): هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط عدي بن كعب بن لؤي¹ بن غالب القرشي العدوي، ويجمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي² بن غالب، ويكنى أبا حفص، ولقب بالفاروق لأنه أظهر الإسلام بمكة، ففرّق الله به بين الكفر والإيمان.

وُلدَ عمر رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشر سنة³، وأما صفته الخلقية: فكان رضي الله عنه أبيض أمهق، تعلوه حمرة، حسن الخدين والأنف والعينين، غليظ القدمين والكفين، مجدول اللحم، وكان طويلاً جسيماً أصلع، قد فرع الناس كأنه راكب على دابة، وكان قوياً شديداً، لا واهناً ولا ضعيفاً، وكان يخصب بالحناء، وكان طويل السبلة⁴. وكان إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، إذا ضرب أوجع.

ويعد عمر رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمرير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره. وهو أحد العمريين اللذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما، يعني عمر وبن هشام، وعمر بن الخطاب، وهو أحد السابقين الأولين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة⁵.

أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع، واتخذ بيت مال المسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا، وأول من دَوّن الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب

¹- علي محمد الصلابي: سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره، دار بن الجوزي، القاهرة، ط1، 1428ه، 2007م، ص121.

²- يوسف بن الحسن ابن عبد الهادي الدمشقي: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار أضواء السلف، الرياض، ط1، (د، ط)، (د، ت)، ص131.

³- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص133.

⁴- السبلة: طرف الشارب وكان إذا غضب أو حز به أمر يمسك بها ويفتلها.

⁵- حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، دار الجيل، بيروت، ج1، (د، ط)، (د، ت)، ص171.

الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم، وكان يطوف في الأسواق منفرداً. ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم¹.

1-3- عمر والدولة الإسلامية²

تأسست الدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، لأنه وطد العقيدة وسير البعوث، فشرع السنة الصالحة في توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه في حرب الردة، وشرع السنة الصالحة في تأمين الدولة من أعدائها بتسيير البعوث وفتح الفتوح، فكان له السبق على خفاء الإسلام في هذين العلمين الجليلين.

إلاً أننا نسمي عمر رضي الله عنه مؤسساً للدولة الإسلامية بمعنى آخر غير معنى السبق في أعمال الخلافة، لأننا ((أولاً)) لا نجد مكاناً في التاريخ أليق به من مكان المؤسسين للدول العظام. ولأننا من جهة أخرى لا نربط بين التأسيس وولاية الخلافة في إقامة دولة كالدولة الإسلامية، إذا الشأن الأول فيها العقيدة التي تقوم عليها وليس للتوسع في الغزوات والفتوح، وعمر كان على نحو من الأنحاء مؤسساً لدولة الإسلام قبل ولايته الخلافة بسنين، بل كان مؤسساً لها منذ أسلم، فهجر بدعوة الإسلام وأذانه، وأعزها بهيبته وعنفوانه.

كان مؤسساً لها منذ بسط يده على أبي بكر، فبايعه بالخلافة وحسم الفتنة التي أوشكت أن تعصف بأركانها، وكان مؤسساً لها يوم أشار على أبي بكر بجمع القرآن الكريم، وهو في الدولة الإسلامية دستور الدساتير ودعامة الدعائم، ولم يزل يراجع أبا بكر في ذلك، حتى استدعى زيد بن ثابت كاتب الوحي، فأمره أن يتتبع أي القرآن ليجمعها من الرقاع والأكتاف والعسب³. وصدور الرجال، فكان ذلك أول الشروع في جمع الكتاب... وكذلك ندر في الدولة الإسلامية نظام لم يكن له أولية فيه، فافتح تاريخاً، واستهل حضارة، وأنشأ حكومة، ورتب لها الدواوين، ونظم فيها أصول القضاء والإدارة، واتخذ لها بيت مال، ووصل بين أجزائها بالبريد، وملك النظم الحكومية كلها، نظام الشورى الذي أقامه عمر على أحسن

¹- أنظر الزر كلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ص 45-46.

²- محمود عباس العقاد: عبقرية عمر رضي الله عنه، ص 100.

³- العَسْبُ: عسب الفحل، أي الماء الذي يخرج منه.

ما يقام عليه في زمانه، وجعل موسم الحجّ موسماً عاماً للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء¹.

وكما سبق فقد تم في عهده فتح عظيم بحيث استمرت الفتوحات من السنة الرابعة عشر حتى الثالثة والعشرون من الهجرة وكانت على الترتيب التالي:²

- ففي السنة الرابعة عشر: فتحت دمشق ما بين صلح وحنوة³، وحمص وبعلبك صلحاً والبصرة حنوة.

- وفي السنة الخامسة عشر: فتحت الأردن كلها حنوة، وطبرية فإنها فتحت صلحاً.

- وفي السنة السادسة عشر: فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كبرى، وفيها فتحت تكريت، وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس، وفيها فتحت قنسرين حنوة.

- وفي السنة السابعة عشر: فتحت حلب وأنطاكية ومنيح صلحاً، وسروج حنوة، وفيها فتحت قرقيساء صلحاً.

- وفي السنة الثامنة عشر: فتحت جنديسابور صلحاً، وحلوان حنوة، وفيها فتحت الرها وسميساط حنوة، وحياران ونصيبين وطائفة من الجزيرة حنوة، وقيل صلحاً والموصل ونواحيها حنوة.

- وفي السنة التاسعة عشر: فتحت قيسارية حنوة.

- ففي السنة العشرين: فتحت مصر حنوة، وقيل مصر كلها صلحاً، إلا الإسكندرية فعنوه، والمغرب كله حنوة، وفيها فتحت تستر، وفيها هلك قيصر عظيم الروح.

- وفي سنة إحدى وعشرين: فتحت الإسكندرية حنوة، ونهاوند.

- أما سنة اثنين وعشرين: كان فتح أذربيجان حنوة، وقيل صلحاً، والدينور حنوة، وماسبذان حنوة، وهمذان حنوة، وطرابلس المغرب والري وعسكر وقومس.

¹ - محمود عباس العقاد: عبقرية عمر رضي الله عنه، ص 100-1001.

² - جلال الدين السيوطي (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 107-108.

³ - حنوة: تقال لمن أخذ الشيء قسراً أي بشدة ومنه نزل عليه الأمر وشقاً.

وفي سنة ثلاثة وعشرين: كان فتح كرمان وسجستان ومكران من بلاد الحبل، واصبهان ونواحيها.

وفي آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه بعد صدوره من الحج.

1-4- مبايعته للخلافة:

بعد مرض الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه طيلة خمس عشر يوماً، كان عمر بن الخطاب يصلي فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.¹

وبعد وفاة الخليفة أبو بكر الصديق، تمت مبايعة عمر بن الخطاب الذي استخلفه أبو بكر الصديق قبل وفاته بالأمر من بعده أتم القيام بالفاروق أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو أول من سمي بأمير المؤمنين.

وبعد أن ولي الخلافة سعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المنبر وخطب خطبته بعد البيعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

" يا أيها الناس إني داع فآمنوا، اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم.

اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف وقصداً من غير صرف ولا تبذير ولا رياء ولا سعة، واجهلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة.

اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين.

اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية

¹ ابن كثير أبو فداء الدمشقي (ت774هـ): البداية والنهاية، دار الملايين، دار الإيمان، المنصورة، (د،ط)، (د،ت)، ص80.

الحسنة، والتي لا تكون إلا بعزتك و توفيقك.

اللهم ثبتني بالبر واليقين والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات¹، والحذر من الشبهات.

اللهم ارزقني التفكير والتدبير لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بغيت إنك على كل شيء قدير².

كانت هذه أول خطبة له بعد توليه الخلافة التي دامت مدتها إثني عشر سنة، شهدت أعمال عظيمة في زمن للمسلمين، وأبرزها تأسيس أركان قوية للدولة الإسلامية وفتوحات كبيرة بفضل الله عَّ وجلَّ.

إلى أن استشهد الخليفة رضي الله عنه، وكانت وفاته على يد أبو لؤلؤة وهو عبد المغيرة يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يشغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه، فقال: أحسن إلى مولاك. ومن نية عمر يكلم المغيرة فيه، فغضب وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، واضمر قتله، واتخذ خنجراً وشخذه وسمه، فقد كان صاحب صناعات ومهارات شتّى، فكَمَنَ له في إحدى زوايا المسجد، ولما خرج عمر رضي الله عنه كعادته إلى صلاة الفجر، هجم عليه فطعنه ثلاث طعنات سقط منها رضي الله عنه، ثم جعل يطعن كل من دنا إليه، فألقى عليه أحدهم شوباً، ولما رأى أنه قد تقيد وتعثر عليه فيه قتل نفسه بخنجره³.

¹ - إصلاح الساعات: ملئ الوقت بالعمل الصالح.

² - عبد العزيز عتيق: في الأدب الإسلامي والأموي، ص 278.

³ - محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية "موجز لتاريخ الخلفاء الراشدين"، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط11، 1991م، ص359.

1-5- دراسة أسلوبية

لخطبة عمر بن الخطاب أثناء التولية

1- المستوى الصوتي.

2- المستوى الصرفي.

3- المستوى التركيبي.

- تحليل مضامين الخطبة:

هذه خطبة الخليفة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أثناء التولية، وقد أضحى فيها معالم الطريق ومنهج الحكم، ونظراته السياسية وتوجهاته الإدارية في ظل الحكم الراشد.

يعتبر الخليفة عمر رضوان الله عليه من أعظم السياسة في التاريخ، فمن خلال دراسة خطبه يمكن أن نستخلص منها عدة تصورات ومفاهيم سياسية وإبداعات إدارية تشهد كلها لعبقرية هذا الرجل العظيم.

فعمر رضوان الله عليه رجل عقل وتفكير وتدبير، يتصف بالواقعية والعمل، وكان رجلاً متفاعلاً، مع واقعه ومع الناس، وكان متحمساً لإصلاح الساعات وطبيعة الواقعية وشخصيته القوية ومواقفه الرزينة كانت على نقيض المزاج العاطفي لذلك لم تحمل خطب الخليفة عمر رضي الله عنه الطابع العاطفي والرؤية الخيالية، فكان خطابه عقلانياً عملياً، يخاطب الله والعقول ولا يخاطب المشاعر، ولا تكاد تعثر في خطبه على التصوير والإيحاء والترميز البلاغي، بل إنه في جل خطبه يستعمل لغة المنطق والوصف المباشر. وأسلوبه الخطابى يعكس شخصيته القوية ورجاحة عقله الثاقب المدرك للواقع المعبر عن الحقائق من خلال خطبه ندرك شخصية هذا الرجل العظيم، رجل المواقف الصعبة والمبادئ الخالدة.

ومن بين المضامين التي تم استخلاصها مايلي:

1- التنبيه: افتتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخطبة بلفظ التنبيه "أيها الناس" وذلك ليثير انتباههم، ويعظم من شأن الموقف وأهميته وهذا ما جرت عليه سنة الخطابة عند العرب، ونلاحظ هذه العبارة في معظم خطبه .

2- النزعة التعليلية: تكثر في خطب الخليفة عمر بن الخطاب النزعة التعليلية المتمثلة في حروف الجر والتعليل، وكذلك أدوات الاستثناء، وهذا ما يسمى بالروابط المنطقية، وكل هذا يعطي الخطبة طابعاً تفسيري أكثر مما هو استعراضي، وذلك مثل قوله: "إني داع فأمنوا، إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الشدة والغلظة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم.

"إني ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية الحسنة، والتي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك".

" إني شحيح فسخني في نوائب المعروف وقصداً من غير صرف ولا تبذير ولا رياء ولا سعة، واجعلني ابتغي بذلك والدار الآخرة".

3- الإقلال من الأسجاع: لم يكن الخليفة عمر رضي الله عنه يُعنى بالبلاغة والتعبير في خطبه بقدر ما كان يُعنى بالتفكير، وكان يهدف إلى الإقناع بالبينة والبرهان بدل النزوع إلى التأثير المشاعري، لذلك نجد خطبه خالية من النزعة الإيقاعية و الزخرفة البيانية، وعندما ننظر في خطبه لا نعثر فيها على أسجاع. وإن ورد بعضها فإنما يرد عفواً وبداهة، فقد كان كلامه مرسلاً يميل إلى الإيضاح والدقة، وهذا من مميزات الخطابة عند الخليفة عمر رضي الله عنه.

4- الأمر والنهي: يكثر في خطب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه صيغ الأمر والنهي باعتباره ولي الأمر وإمام المسلمين وقائدا ومرشداً في نفس الحين، فقد كان يوجه نفسه والناس يحذرهم بمقتضى الأمر والنهي، وصيغ الأمر والنهي نجدها في كل خطبه ومنها هذه الخطبة، حيث قال: "يا أيها الناس إني داع فآمنوا، اللهم إني شحيح... من غير صرف ولا تبذير ولا رياء ولا سعة"، "اللهم ارزقني خفض النجاح ولين الجانب للمؤمنين، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة".

5- مبدأ الإصلاح: الدعوة الإسلامية هي دعوة إلى الإصلاح، ومفهوم الإصلاح في الإسلام مفهوم شمولي، يشمل الفرد والمجتمع، والإنسان كونه كائن متغير من حال إلى حال، ومن طبيعة على أخرى، بين الصلاح والفساد فكان لا بد من دعوة إلى الإصلاح، وهذه الدعوة تقوم على مبادئ إسلامية نابغة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك لتحقيق سعادة الإنسان بصلاح دنياه وآخرته.

وقد بين رضي الله عنه هذا المبدأ بتحذير من شيوع الفاحشة في المجتمع الإسلامي حتى لا ينال الناس بلاء من الله عز وجل، فقد قال في خطبته: "وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم"، ويقول في موضع

آخر: "وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات". وهذا ما يؤكد حرصه رضي الله عنه على عدم إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي ودعوته بالإصلاح.

توطئة:

بما أن الخطابة جنس نثري شفهي إقائي بالأساس يعتمد على مواجهة الجماهير، ويهدف الخطيب إلى إثارة مشاعرهم لإقناعهم.¹

وهذا يفرض عليه بالضرورة أسلوبا خاصا به، يساعده للوصول إلى ما يرمي إليه، ويتم هذا إلا باكتساب مهارة التحكم في اللغة التي هي: "دعاء العلم، وأداة التفاهم مرتكز العقد، نتصل بالمجتمع الإنساني اتصالا وثيقا، فتؤثر فيه وتتأثر بمعطياته"².

ومنه فاللغة هي أداة التواصل بين أفراد المجتمع، ولهذا اهتم علماء اللغة بدراساتها ووضعوا لها تعريفات ووظائف يطلق على علماء اللسانيات.

ومن بين أهم العلماء "ياكوبسون" "Jakobson" الذي جاء بنظرية وظائف اللغة الست، التي استلهما من نظرية الاتصال.³

وما يهمنا منها الوظيفة التأثيرية التي تهدف التأثير على المتلقي من خلال عملية الاتصال.

إذا فالخطيب يعتمد على اللغة التي هي أداة التواصل بينه وبين الجمهور، وهي بدورها: "نظام كلي مبني على أساس مجموعة من المستويات انطلقا من المستوى الصوتي ثم الصرفي ويأتي التركيبي"

وكل من هذه المستويات مجاله يدرسه ويهتم بمعرفة ما يرمي إليه الأديب، ولهذا نعتمد على نظام المستويات من أجل كشف خصائص الأسلوب الخطابي لدى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويتم اختيار خطبته التي ألقاها أثناء توليه الخلافة لتكون مجال للتطبيق.

¹- مصطفى البشير القط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص95.

²- عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص13.

³- أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 2002، ص148.

1- المستوى الصوتي:

تقتضي طبيعة التحليل اللغوي التسلسل في عملية الدراسة بدأ بأصغر وحدة صوتية في النظام اللغوي إلى أعلى مراتب التركيب، وهو الأمر الذي يضطر الباحث من الصوت اللغوي الذي يعد أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني.¹

ومبحث الأصوات هو المستوى الأول في مستويات التحليل، إذ يعد الخطوة الأولى للدرس اللساني، كما للصوت من قيمة تعبيرية تطلق منه ثم تعطي على اللفظة التي تحويه وقد يتخللها ليعم التركيب كله، فيشعر المتلقي بقوة اللفظة أو ضعفها وكذا جهرها أو همسها من خلال الأصوات التي تتكون منها.²

وقد اتصل الدرس الصوتي عند أمة العرب بالقرآن الكريم اتصالاً وثيقاً ومباشراً، لأنه مناط الأحكام ودستور الأمة، واعتمد الدراسات الصوتية العربية الأولى على ملاحظات القوم التي اتسمت بالمباشرة والملاحظة الذاتية، القائمة على جدارة ومكانة الفكر العربي الإسلامي، ويبرز من هؤلاء الأفاضل علماء قدموا جهودهم البحثية، ورؤاهم التحليلية خدموا اللغة التنزيل.³

وجاء الخليل بنظريته الصوتية المركزية، يتبعه سيبويه وابن جني، وابن دريد، والرماني، والقالبي والأزهري، والصاحب بن عباد، وابن فارس، وابن سيده، والزمخشري، والشيخ الرئيس ابن سينا سواهم.⁴

ويعد ابن جني كما ذكرنا من رواد علماء الدرس اللغوي الذين اهتموا بعلم الأصوات ودراسته، وهو من العلماء العرب القدامى والذي سنأخذه كمثال في تصنيف صفات الأصوات يقول ابن جني: "اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً يعرض له في الحلق والفم

¹ - عبد القادر رحيم: علم العنونة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 95.

² - نفس المرجع: ص96.

³ - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص13.

⁴ - نفس المرجع: ص13.

والشفتين مقاطع تثنية على امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرف وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها".¹

من خلال هذا التعريف لابن جني للصوت أو الحرف، تعيينات هامة تخص ماهية الصوت اللغوي، وكيفية حدوثه وأنواعه من حيث الجرسية وموضوع التحقيق.

وبما أن الدراسة تصعب صفات الأصوات من حيث الهمس والجره نوضع رأي لابن جني وتصنيفه للأصوات من حيث هاتين الصفتين.

صفات الأصوات بتصنيف ابن جني:²

الصفة	الحرف	التعليل
الهمس:	يجمع حروف الهمس قول:(حثة شخص وسكت).	<u>المهموس</u> :حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس.
الجره:	كل الحروف ما عدا حروف الهمس.	<u>المجهور</u> :حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن تجري معه حتى بنقضي الاعتماد ويجري الصوت.

والاعتماد: هو التقاء عضوين أو جزئين، أما صنعه هو التباعد بينهما والمقصود بالعضوين هما الوتران الصوتيان³

من خلال الجدول نقرأ نظرة القدماء لصفتي الجهر والهمس، فالهمس هو صفة من صفات الحروف توصي بصوت خفي فهو إخفاء الصوت، بحيث يجري مع الحرف لأضعف الاعتماد عليه.

¹- مصطفى بوعشائي: في الصوتيات العربية والغربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د،ط)، 2010م، ص54.

²- نفس المرجع : ص59.

³- عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 119.

قال سيبويه: "وما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"¹.

ولذلك فإن الهمس: "صفة في الحروف التي يمكن أن تأخذ زمنا في نطقها دون توقف".

و الجهر: هو ارتعاش الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت: "فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع التنفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"².
والحرف المهموس يجمعها قولك سكت فحثة شخص والفاء والخاء أقوى مما عداهما، وما نص عليه القدماء في الجهر والهمس يوحي بأنهما ترتبطان بالمخرج والصواب أنهما يرتبطان بالأوتار الصوتية والحنجرة، وسبب ذلك أنهم كانوا يجهلون هذه الأعضاء ودورها في عملية التصويت.³

كانت هذه الآراء لابن جني عبارة عن فكرة القدماء إلا أن هذه الصورة الوضعية للقدماء في بعض الأصوات اضطربت وهذا ما ظهر واقعا في مصنفاتهم اللغوية، ولعل مرد ذلك على رأي الدكتور رمضان عبد التواب إلى أحد الأمرين:⁴

أولهما: أن نطق العربية الفصحى أصابه التطور فاختلف نطق بعض الأصوات في زماننا على مستوى النطق الفصحى عنه في زمان أولئك القدماء الذين وصفوا ما سمعوه وأصابوا في هذا الوصف.

ثانيا: أن يكون نطق الفصحى في زماننا هو بعينه نطق العرب القدماء، لم يصبه تطور، ولم يحدث فيه تغير، غير أن القدماء وهموا في وصف هذا الصوت.

أما تصنيف الأصوات عند المحدثين أمثال إبراهيم أنيس والذين وزعوا الأصوات العربية على حسب صفتي الجهر والهمس وفق الآتي:

¹- سيبويه (أبي بشر عمر بن عثمان بن قنير): كتاب سيبويه، تحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج2، ط2، 1982م، ص433.

²- نفس المصدر السابق: ج2، ص434.

³- محمد خان: اللهجات العربية و القراءات القرآنية "دراسة في بحر المحيط"، دار الفجر، الجزائر، ط1، 2002م، ص72.

⁴ - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص124.

1/ في العربية خمسة عشر وحدة صوتية مجهورة:

(ع، ظ، م)، (و، ز، ن)، (ر، ج، ل)، (ب، غ، ض)، (ذ، ي، د).

2/ في العربية اثني عشر وحدة صوتية مهموسة: (س، ك، ت)، (ش، خ، ص)، (ف، ح، ث،

ه)، (ق، ط).

3/ في العربية وحدة صوتية لا مجهورة ولا مهموسة: (الهمزة).

يؤكد الدكتور " إبراهيم أنيس" أن: الاستقرار برهن على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام إذ لا تكاد تزيد على 1/5 أو 20% في حين أن 4/5 من الكلام تكون من أصوات مجهورة.¹

فمن خلال التصنيف السابق للمحدثين نجد أنه كان مختلفاً عن التصنيف القديم، حيث أن القدماء تصنيفهم للأصوات المهموسة 10 أصوات والمجهورة 19 صوتاً، مثل تصنيف سيبويه الذي عد أصوات الهمزة/الألف/القاف/الطاء/من الأصوات المجهورة.²

ومن خلال التصنيف السابق للمحدثين الذي سيتم على أساس دراسة المستوى الصوتي للخطبة، بحيث ندرس تواترها وبالتالي نستخلص المعاني من خلال إحصاء تكرار الأصوات. ومتبعين في الدراسة نظام الجداول التي تساعدنا في عملية التحليل.

تكرار الأصوات المجهورة والمهموسة في خطبة الخليفة عمر بن الخطاب أثناء توليه الخلافة ودراسة علاقتها بالمعنى.

أ- تكرار الأصوات:1- الأصوات المجهورة:¹ - نفس المرجع: ص124.² - عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص310.

تواترها في الخطبة	الأصوات المجهورة
17	العين (ع)
04	الظاء (ظ)
27	الميم (م)
33	الواو (و)
06	الزاي (ز)
33	النون (ن)
24	الراء (ر)
06	الجيم (ج)
88	اللام (ل)
20	الباء (ب)
02	الضاد (ض)
05	الذال (ذ)
56	الياء (ي)
	الذال (د)

2- الأصوات المهموسة:

بعد إحصاء الأصوات المهموسة في خطبة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نجد:

الأصوات المهموسة	تواترها في الخطبة
السين(س)	10
الكاف(ك)	18
التاء(ت)	18
الشين(ش)	06
الخاء(خ)	05
الصاد(ص)	02
الفاء(ف)	12
الحاء(ح)	10
الثاء(ث)	01
الهاء(ه)	23
القاف(ق)	24
الطاء(ط)	02

3- صوت الهمزة في الخطبة: الذي جاء ليس بالصوت المجهور

ولا بالصوت المهموس جاء للهمزة 17 مرة.

ب- علاقة تكرار الأصوات بالمعنى:

1- الأصوات المجهورة:

بعد العملية الإحصائية للأصوات المجهورة داخل خطبة الخليفة عمر

بن الخطاب يتضح التكرار البارز للأصوات التالية:

اللام، الياء، النون، الواو، الراء، الباء، الميم.

وقد تكررت على النحو التالي:

اللام: ثمانية وثمانون مرة بنسبة 26.50%.

الياء: ستة وخمسون مرة بنسبة 16.86%.

النون والواو: تكرر ثلاث وثمانون مرة بنسبة 9.33%.

الراء: أربعة وعشرون مرة بنسبة 7.22%.

الياء: عشرون مرة بنسبة 6.02%.

الميم: سبعة وعشرون بنسبة 8.13%.

4- البيان الصوتي للأصوات المتكررة:

يظهر البيان الوصفي لكل من (اللام، الياء، النون، الواو) في الفصل الأول، أما البيان الوصفي

لكل من (الراء، الباء، الميم) فهي:

الراء: يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرق اللسان على اللثة تابعا سريعا، ومن

هذا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر، ويحدث الوتران الصوتيان نغمة عند نطق الراء،

فالراء صامت مجهور لثوي مكرر.¹

الميم والنون: كليهما ينتمي للصوامت الغناء، وهذه الأخيرة تكون بأن يحبس الهواء حبساً تاماً في موضع من الفم، ولكن يخفف الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف والفرق بينهما أن الميم شفوي والنون سني.²

أما من ناحية الدلالة الذي حملها ترداد الأصوات داخل الخطبة فهي:

الإلام: ارتبط تكرار صوت اللام في الدلالة عن "الدعاء"، حيث أن كل فقرة من فقرات الخطبة تبتدئ بصيغة الدعاء "اللهم" و تليها ما يرجوه الخليفة عمر بن الخطاب من الله عز وجل فيطلب: النجاح، النشاط، النية

الحسنة، المعروف، الحياء، التدبير...

الياء: جاء تكراره في الخطبة كحرف بين فقرات النص أي أنه صوت منفرد عن تركيب ويعمل على تتابع الجمل فالخليفة بطبيعة الأمر يخاطب جماعة وبالتالي يوظف الجمع مثل (فآمنوا).

النون: انحصر تكرار صوت النون في الخطبة على دلالة النسبة للنفس بحيث جاء تكرارها يرتبط بالخليفة على نحو (ارزقني) التي تكررت في كل فقرات الخطبة وهم ستة فقرات، وكذلك جاءت في معنى التأكد بحيث أن الخليفة بعض الصفات على نفسه على نحو (إني غليظ، إني شحيح).

أما الياء: كذلك جاءت على شاكلة صائت، أي كحركة تفيد المد في مقاطع الكلمات بحيث أن الخليفة يواصل الدعاء من خلال لفظة أرزقني وبالتالي تكرر حرف الياء مع النون.

الراء: صاحب صوت الراء في تكراره داخل الكلمة النون والياء واتبعها في كلمة "ارزقني" وهي تدل على التكرار في الدعاء من أجل نيل الغرض المطلوب، وكذلك جاء صوت الراء مصاحب لكلمة الدار الآخرة، المكررة في الخطبة وهي تعني تعلق الخليفة بالدار الباقية وعدم

¹- محمد السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص171.

²- نفس المرجع: ص 169.

الميل للدنيا ولو أنه أصبح خليفة رسول الله (صلعم)، وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وأيضا نخلط تكرار صوت الراء داخل كلمات تحمل معنى صلاح النفس ومحاولة التنبأ من الهفوات الدنيوية والسعي لكسب رضا الله مثل: (البر، ذكر، تدبر، المعرفة، النظر، يرضيك)، وهذا يدل على حرص الخليفة عمر بن الخطاب على تسيير الشؤون بما شرع الله تعالى في كتابه الحكيم.

الميم: ترددت صوت الميم في تكرار كلمة المؤمنون وهي صفة تطلق على المسلم بعدما أسلم بالله عز وجل وآمن بما أنزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وجاءت بصيغة الجمع لأن الخليفة يخاطب جماعة.

وكذلك جاءت الميم لدلالة المثابرة والاجتهاد والنية التي يعملها عمر بن الخطاب في نفسه سعياً منه لبناء وتأسيس دولة إسلامية ذات معالم وأركان قوية كقوله في جملة هذه المفردات: (المعروف، الأهمني، العمل، المقام، المحاسبة لنفسي... الخ).

2- الأصوات المهموسة:

بعد عملية الإحصاء للأصوات المهموسة، التي تظهر في الجدول السابق يلاحظ بروز كل من: القاف

الهاء، الكاف، التاء، داخل الخطبة من بين كل الأصوات المهموسة.

فما هي دلالة هذه الأصوات؟

جاء تكرار الأصوات السابقة في الخطبة على النحو التالي:

القاف: تواترها داخل الخطبة 24 مرة بنسبة 17.64%.

الهاء: تواترها داخل الخطبة 23 مرة بنسبة 16.91%.

الكاف: تواترها داخل الخطبة 18 مرة بنسبة 13.23%.

التاء: تواترها داخل الخطبة 18 مرة بنسبة 13.23%.

قبل دراسة المعاني من الأصوات السابقة، ذكر أن البيان الوصفي لهذه الأصوات تم ذكره في الفصل الأول في دراسة الأصوات المهموسة.

القاف: يحمل صوت القاف الدلالة على القوة والشدة، حيث ارتبط تردادها بكلمات تحمل

معاني الشدة مثل: (موافقة الحق، قصداً، القوة، توفيقك، اليقين).

الكاف: ارتبط تكرارها في الخطبة على صيغة ضمير متصل في أغلب المفردات، وقد وظفها الخليفة لأنه في حالة يخاطب فيها الله عزّ وجلّ داعياً إياه أن يلهمه العون في تسيير أمور المؤمنين، وفيها معنى الخضوع وطلب الرجاء، مثل: (طاعتك... الشدة على أعدائك، بعزّتك، توفيقك، الحياء منك، يرضيك... الخ).

التاء: ارتبط تواتر صوت التاء في الخطبة بالحركة و السعي لنيل المراد، بحيث معظم الألفاظ دلت على رغبة وعزيمة عمر على تسيير أمور الدولة الإسلامية وبناء قواعدها، وهذا لا يكون إلا بعون اله عزّ وجلّ، وهذا في قوله: (ابتغاء، التفكير، تدبر، يتلوه، ثبتني).

2- المستوى الصرفي:

لقد وسع علماء اللغة المحدثون مفهوم ومجال علم الصرف حتى نسبوا كل دراسة تصل بالكلمة أو أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة، وبعبارة بعضهم تؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية إلى الصرف وقضاياها إضافة إلى اهتمامه بمسائل صوتية لا يمكن لعلماء الأصوات عند دراستها الاستغناء عنه.¹

وعلم الصرف على صعوبته بعد أن أشرف علم اللغة وأهمها لاعتماده على جملة من هذه العلوم على مباحثه وفصوله.

أما البيانات التي يستعملها هذا البحث تنقسم إلى قسمين:²

1- بنية الأفعال: فَعَلٌ، فَعَلٌ، افْعَلْ، افْعَلْ، فاعل، (على+فل)، يفعل، لا تفعل.

2- بنية الأسماء: اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، صيغة المبالغة، اسم التفضيل،

¹- عبد القادر عبد الرحيم: علم العنونة، ص127.

²- نفس المرجع: ص129.

ظرف المكان، ظرف الزمان.

إذ غلب على الخطبة التي ألقاها عمر بن الخطاب أثناء توليه الحكم الطابع الديني أكثر منه سياسي إلا أنها جاءت تعمل أمور تبنى عليها سياسة الحكم مثل: ابتغاء الحق والإعانة على الثبات في طاعة الله أثناء الحكم.

أما ما يخص البناء الصرفي فيغلب على الخطبة الأسماء أكثرها على الأفعال وما جاء من هذه الأخيرة نجد الأفعال المضارعة وأفعال الأمر.

1/ أفعال المضارعة: أبتغي، يرضيك، يتلوه، بقيت...

2/ أفعال الأمر: أرزقني، آمنوا، اجعلني...

ما نجده في توظيف أفعال الأمر أنها كلها موجهة لله عزّ وجلّ والمعروف أن الأمر يجب أن يكون أعلى مرتبة وبما أنها موجهة لله عزّ وجلّ فيها تحمل صيغة الدعاء، مسبوقة بلفظة اللهم التي تحمل دلالة الدعاء من الله عزّ وجلّ.

أما الفعل: كلمة تدل حدث وزمن، وتعد دلالة على الزمن أهم ما يميزه عن الاسم والحرف.¹

فدلالة الأفعال المضارعة فهي تلتزم صاحبها، وتدل على الحركة والاستمرار مثل: بقيت، يتلوه.

أما ما يخص الأسماء فهي التي تطغى على الخطبة سواء من حيث الأشياء، وجملة المشتقات التي توجد منها القليل وهي كما لوحظ أسماء مجردة أي أنها ذات طابع نفسي أو معنوي أكثر منه محسوس مثل: (الحق، الغلظة، الشدة، النفاق، ظلم، اليقين، رياء، الغفلة، النسيان، النية، الحياء، التفكير، التدبير...).

إن بناء الخطبة على الأسماء يوحي لفكرة الثبات فمن خلال ما يروجوه الخليفة من وراء هذه الأسماء، حيث يرجوا أن يكتسب بعضها ويبتعد عن الأخرى، دليل على ثبات نفسه واستعداده لكسب الآخرة بطاعة الله والحكم بعدل واستقرار أمور الدولة الإسلامية.

¹ - محمد عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، مصر، القاهرة، ط1، 2005، ص63.

لقد كان حضور بعض المشتقات في الخطبة مثل اسم الفاعل الذي ربطه الخليفة عمر بن الخطاب ببعض من ميزاته وهو يحمل دلالة الاستمرار كقوله: "داع"، وقد جاءت في بداية الخطبة لأن هذه الأخيرة كانت عبارة عن مجموعة من الأدعية.

كذلك الصفة المشبهة التي تحمل دلالة الثبات لصاحبها وقد صرح الخليفة عمر بن الخطاب ببعض خصاله التي ميزته وعرف بها كقوله: "غليظ، شحيح".

فالغلظة والشدة صفتان اتصف بهما الخليفة عمر بن الخطاب، وهو يذكر هذا في خطبته، ويطلب من الله عزّ وجلّ أن يمنحه للين على أهل الطاعة والمخلصين لله تعالى.

وما نلاحظه في الخطبة أن الخليفة يفضي على خطبته الطابع الديني والداعي لله عزّ وجلّ، مرتكزاً على أسماء معنوية وهذا دليل على أن الخطبة ذات معالم واضحة وحيز نفسي بحيث أن عمر يرجوا صلاح النفس

له وللمؤمنين وبالتالي صلاح الأمة بحيث لا تكون إلا بـ: اللين لأهل الطاعة.

➤ ابتغاء الحق ومحاربة الفساد من أهل الدعارة والنفاق والظلم.

➤ التواضع للمسلمين.

➤ النية الحسنة في العمل، والإخلاص فيه لله الواحد القدير، وغيرها الكثير واغلبها نفسية

ذات أبعاد اجتماعية تبنى على أساسها نظام حكم عادل وبيد لا تعرف الخروج من حدود الله.

لقد حقق عمر بن الخطاب بما تميزه من شدة وحنكة على تحقيق العدالة الاجتماعية وشهدت الدولة الإسلامية أوج توسعها والانفتاح على الآخر واستقرار الوضع الداخلي بعدما شاهدهت الأمة الإسلامية من حروب الردة وغيرها.

وعهد عمر بن الخطاب كان عصرهم الذهبي، لأنه شغلهم عن حروبهم الداخلية بحروب خارجية، ولأنه رضي الله عنه مزج فهماً عميقاً وممتازاً لنفسية العرب¹.

3- المستوى التركيبي:

أن الغاية من دراسة النحو، هو فهم وتحليل بناء الجملة تحليلاً لغوياً يكشف عن أجزائها، ويوضح عناصر تركيبها، وترابط هذه العناصر بعضها البعض، بحيث تؤدي معنى مفيد وبيّن

¹ - أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، (د،ت)، ص 38.

علائق هذا البناء، ووسائل الربط بينهما، والعلاقات اللغوية الخاصة بكل وسيلة من هذه الوسائل.¹

ومن خلال المحاولة لدراسة المستوى التركيبي لخطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنعرض أنواع الجمل التي سيطرت على الخطبة وما لها من معاني. جاءت التراكيب في خطبة عمر تتراوح بين الطول والقصر وقد كان للنواسخ حضور بارز بالتحديد أن وأخواتها ومن أمثلة ذلك نذكر:

- إني داع فأمنوا.

- إني شحيح فسخني.

- إني ضعيف...

تعمل هذه الجمل في مضامينها على دلالة الحالة النفسية التي كان يحس بها الخليفة، فهو في هذا المقام كأنه يسرد ميزاته الشخصية، ويرسم من ورائها سياسته في العصر، فالمعلوم عن الخليفة عمر في سيره التاريخية العدل، إلا أن شدة إيمانه بعظم ما تولاه يخاف من أن يظلم مؤمناً.

وقد سبقت هذه الجمل المنسوخة وفي معظم الفترات الخطبة صيغة الدعاء "اللهم" وهذا لأن الخطبة بأكملها عبارة عن دعاء ولهذا يمكن لنا أن نقول على الخطبة أنها طلبية. دعاء الخليفة عمر من الله طلباً للعون وتحمل ثقل المسؤولية. ومن الطلبية نجد:

النداء: لقد استعمل الخليفة في بداية كلامه بجملة نداء "يا أيها الناس" وهذه الجملة جاءت لتعبر عن المقام فهو يخاطب جماعة من الناس لهذا يناديهم، وتتركب الجملة من: أداة النداء "يا"، والمنادي "أي" والمقصود بالنداء لفظ "الناس" ولما اشتقت العرب نداء المحلي ب"ال" توصلوا بلفظ "أي" للتخلص من التقاء الساكنين، في تركيب (يا+الناس)، ولفظ "أي" منهم يحتاج إلى تفسير، وعطف البيان بعده "الناس" توضيح له، ولا بدله من "ها" الدالة على التنبيه، وهو وما بعده بمنزلة اسم واحد.²

¹ - محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2003، ص19.

² - بلقاسم دفة: بنية الجملة الطلبية ودلالاتها في الصور البيانية، دار الهدى، الجزائر، ج1، (د، ط)، 2005م، ص169.

الأمر: جاء الأمر في مجمله في الخطبة مرتبط بالفعل ارزقني على غرار بعض الألفاظ الأخرى "ألهمني وثبتني".

فهي أفعال أمر تعمل بصيغة الدعاء، فالخليفة يدعو الله ويرجو منه الثبات في مقام الخلافة. إن أهمية الجملة الأولى في تحليل النص، فالاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته بمعنى أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء.

وقد كان اختيار الخليفة للدعاء ولفظة "اللهم" يعبر عن حالته الشعورية ضمن هذا الدعاء من خوف الوقوع في الظلم وملذات الدنيا وكذلك الميل للقوة والتحكيم فالمعروف عنه الشدة و القساوة، وأخيرا كان الدعاء بالتفكير والتدبير للقرآن الذي هو دستور الأمة.



خاتمه



خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي ينير عقول البشر، الحمد لله الذي بفضلته يتم العمل.

في خاتمة بحثي أتمنى من الله العزيز الحكيم أن أكون قد وفقت في دراستي هذه، التي تناولت فيها خصائص الأسلوب الخطابي في خطبة الخليفة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أثناء التولية دراسة أسلوبية.

وفي هذه الدراسة قسمت بحثي إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

تناولت المقدمة: أهمية الدراسة، ومبرراتها، والدراسات السابقة وخطة الدراسة ومنهجها.

والمدخل: قسم إلى خمسة مباحث، أما الفصل الأول فكان نظري: عالجت فيه مسألة فن الخطابة والأسلوب الخطابي، أما الفصل الثاني فكان تطبيقي: تناولت فيه لمحة عن أمير المؤمنين وأخيراً الدراسة الأسلوبية.

وأنهت الدراسة: بخاتمة لخصت فيها أبرز نتائج البحث التي توصلت إليها، وبعض التوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع ويليه فهرس الموضوعات وأنهت بحثي بملخص الدراسة.

وأخيراً أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

تعد جملة هذه العناصر التالية مجموعة من النتائج التي تم استخلاصها بعد هذه الدراسة، وإذا كانت محاولة للموضوع يمس أعظم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ألا وهو الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان قد تحمل من بعده صلى الله عليه وسلم وبعد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حمل راية النور، والهدى التي منى بها الله عز وجل للبشرية، فكانت الخطابة أحسن وسيلة وأبرزها التي اعتمد عليها في زمانه تطورا عظيما فهي أحد وسائل التبليغ والإرشاد فالتبليغ والرشد رسالة في الفتوحات وهداية، فكان حضور لجميع المجالات مفهوما للسياسة.

ومنه نستطيع القول أن الخطابة صنعت لنفسها في هذا العصر وما صنع الشعر ولصاحبها وعن العصر الجاهلي، فكان لها مكانا راقياً.

تعتبر الخطابة أول الفنون العربية انتشاراً وظهوراً في العصر الإسلامي، إذ تفردت من حيث مضمونها وموضوعاتها ومناسباتها. فالخطابة في الإسلام أصبح لها بُعد أخلاقي وأفق تربوي، كل هذا لم يكن موجوداً في مضامين الخطابة عند العرب قبل الإسلام.

تعد الخطابة وسيلة من وسائل التنظيم وإعطاء الأوامر في الغزوات والفتوحات ما منحها مجالاً في الحروب والمعارك.

إن الخطبة لا يمكن أن تنبعث فيها عناصر القوة، وتدب في كيانها الحياة، وتحقق منها الإفادة التامة، والتأثير المطلوب إذا لم يوجد لها خطيب فصيح متمكن يأسر القلوب بفصاحته ويستميل النفوس بقوة تأثيره.

تعكس الخطابة شيئاً يتمنى المرء إجادته والنبوغ فيه، فيصبح خطيباً بمجرد التمني، ولكن هناك مراحل تعد أسساً مهمة في الإعداد الفني للخطيب وبناء شخصيته الخطابية.

تنوعت الخطب حسب تقسيم أرسطو إلى ثلاثة أنواع منها ما يتعلق بالماضي، ومنها ما يتعلق بالحاضر، ومنها ما يتعلق بالمستقبل.

يعد الأسلوب المعنى الصوغ من ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وافعل في نفوس سامعيه.

تميز الأسلوب الخطابي بقوة المعاني والألفاظ إذ يزيد من منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وذلك من خلال اختيار الكلمات الجزلة، وتعاقب ضروب التعبير.

وما توصلنا إليه من نتائج من جانب الدراسة الأسلوبية نجد:

بروز أصوات الجهر من أصوات الهمس داخل الخطبة وهذا راجع للمواقف مرت على الخليفة، التي تفرض عليه استحضر أصوات الجهر كالواو، والياء، واللام والياء والنون، وهذا يدل على عظمة تحمل الخلافة، فهو موقف ثبات وتدبر.

أما أصوات الهمس فهي أقل من الجهر، فالهمس يناسب المواقف الهادئة وليس موقف تولي الخلافة.

أما بروز الأسماء على الأفعال في الخطبة تحمل نفس الخاصية وهي دلالة الثبات في تحمل المسؤولية من جانب، وحل المشاكل التي وقع فيها الخليفة.

معظم الجمل جاءت قصيرة منها القليل يميل للطول، فالمقام مقام سياسي يحتاج لجمل قصيرة تحمل مغزى يدل على ما يميز الخليفة من بلاغة وبراعة فن القول في الإيجاز والمقام مقام إيجاد حلول، ولا داعي للإطناب.

كذلك جاءت الكلمات سهلة بسيطة واضحة لا تحتاج للمعاجم ولكن قلما تجد بعض الكلمات الغير مفهومة لدينا كما لا تحتاج للزخرف والرونق، وهذا نهى الإسلام عنه وتفاداه.

- التوصيات المقترحة:

خلصت الدراسة إلى عدة توصيات نذكر منها:

- توجيه عناية الدارسين إلى العصر الإسلامي وخاصة معرفة سيرة الخلفاء الراشدين وذلك لأجل تنمية قدرة العقل والتزود بمعلومات كُنَّا نجهلها.
- عمل الدراسات توازن بين أدب عصر الإسلام والعصور التي سبقته، تلك العصور التي وصفت أدبائها بالقوة والأصالة لبيان مكانة أدب العصر الإسلامي بين عصور الأدب كونه امتاز بالعصر الذهبي والذي احتل المكانة المرموقة.
- تشجيع الجامعات على تدريس أدب العصر الإسلامي كمقياس وإعطائه حقه كباقي عصور الأدب.

قائمة المصادر والمراجع



– قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

صحيح البخاري.

– المصادر العربية:

1- ابن خلدون ابن محمد بن عبد الرحمن: المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1438هـ – 1139م.

2- ابن كثير أبو فداء الدمشقي (ت774): البداية والنهاية، دار الإيمان، المنصورة، (د،ط)، (د،ت).

3- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

4- أبي الفضل بن محمد منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، مج1، ط1، 1424هـ، 2003م.

5- أحمد بن خليل الفراهيدي (ت100-175هـ): العين، تح: عبد الحميد هنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، مج2، ط1، 2003م.

6- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج5، (د،ط)، 1399هـ، 1979م.

7- الجاحظ عثمان بن عمر بن بحر (ت250هـ): البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2010م.

8- جلال الدين السيوطي (ت911هـ): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

9- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تح: صفان عدنان داوود، دار القلم، دمشق، ط3، 1405هـ، 1987م.

10- سيويه (أبي بشر بن عثمان بن قنير): كتاب سيويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج2، ط2، 1982م.

- المراجع:

- 1- أحمد الشايب: الأسلوب "دراسة بلاغية تحليلية لأصوات الأساليب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 2003م
- 2- أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، (د، ت).
- 3- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 4- أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 2002م.
- 5- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ج2، (د، ط)، 2007م.
- 6- إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط5، 1437هـ، 2016م.
- 7- إيليا حاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، (د، ط)، (د، ت).
- 8- بسام قطوس: إستراتيجية القراءة، "التأصيل والإجراء النقدي"، دار الكندي، الأردن، (د، ط)، 1998م.
- 9- بلقاسم دفة: بنية الجملة الطلبية ودلالاتها في الصورة البيانية، دار الهدى، الجزائر، (د، ط)، 2005م.
- 10- حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، دار الجيل، بيروت، ج1، (د، ط)، (د، ت).
- 11- حسن ناظم: البنى الأسلوبية "دراسة في أنشودة المطر للسياب"، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 2002م.
- 12- حميد آدم ثويني: فن الأسلوب، دار صفاء، الأردن، ط1، 2006م.
- 13- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، (الأدب الحديث)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م.
- 14- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1412هـ.
- 15- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (الأدب الإسلامي)، دار المعارف، مصر، ج2، ط19، 119هـ- 1963م.
- 16- صلاح فضل: علم الأسلوب "مبادئه وإجراءاته"، دار الشروق، مصر، ط1، 1419هـ- 1998م.

- 17- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر رضي عنه، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، (د،ط)،(د،ت).
- 18- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1987م.
- 19- عبد الرحمن بوكيلي: الأساس في الدعوة الإسلامية، دار الفكر، الرباط، ط1، 2006م.
- 20- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط2، 1982م.
- 21- عبد العزيز عتيق: في الأدب العربي والأموي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2000م.
- 22- عبد القادر رحيم: علم العنونة، دار التكوين للترجمة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.
- 23- عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 1998م.
- 24- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002م.
- 25- علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، (د،ط)،(د،ت).
- 26- علي محمد الصلابي: سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، (د،ط)،(د،ت).
- 27- عمر فروخ: الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الملايين، لبنان، ط1، 1984م.
- 28- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ - 1987م.
- 29- محمد أبو زهرة: الخطابة-أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1138هـ - 1139م.
- 30- محمد السعران: علم اللغة "مقدمة القارئ العربي"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د،ط)،(د،ت).
- 31- محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، (د،ط)،(د،ت).
- 32- محمد خان: اللهجات العربية والقراءات القرآنية "دراسة في بحر المحيط"، دار الفجر، الجزائر، ط1، 2002م.
- 33- محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية "مع موجز من تاريخ الخلفاء الراشدين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط11، 1991م.

- 34- محمد عبد الله جبر: الأسلوبية والنحو "دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية، دار الدعوة، الإسكندرية، ط1، 1409هـ-1988م.
- 35- محمد عبد المنعم خفاجي: الأسلوبية والبيان العربي: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1412هـ-1992م.
- 36- محمد عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، مصر، القاهرة، ط1، 2005م.
- 37- نور الدين السد: الأسلوب وتحليل الخطاب، دار الهومة، الجزائر، ج1، (د،ط)، 2012م.
- 38- واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ-1994م.

- الكتب المترجمة إلى العربية:

- 1- أرسطو طاليس: الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تح وتر: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1979م.
- 3- فك يوهان: العربية، (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، (د،ط)، 1400م.

2- Jean le style.et la marque de l'individualité du sujet dans le diseur, paris ,1^{er} édition, outre, dictionnaire de linguistique, libraire la rousse, Dubois et 1973.

-المواقع الإلكترونية:

- 1- علي بن نايف الشحود: الخلاصة في علوم البلاغة، المكتبة الإلكترونية، 25 جمادى 1428هـ- الموافق 10/06/2007م. ramy-mra@hotmail.com

الفضائل



فهرس الموضوعات:

الصفحة:	الموضوع:
/	دعاء
/	الإهداء
/	شكر وتقدير
أ-ب-ج-د	المقدمة
	مدخل:
-02-	المبحث الأول: مصطلح النثر: المفهوم بين اللغة والاصطلاح.
-03-	المبحث الثاني: النثر في العصر الإسلامي.
-04-	المبحث الثالث: البيئة السياسية في العصر الإسلامي.
-08-	المبحث الرابع: لمحة تاريخية عن الخطابة قبل الإسلام وفي عصر صدر الإسلام.
-11-	المبحث الخامس: الفتوحات الإسلامية ودورها في تطور الخطابة.
	الفصل الأول: الجانب النظري.
-14-	أولاً: فن الخطابة: المفهوم بين اللغة والاصطلاح.
-15-	المبحث الأول: نشأة فن الخطابة.
-17-	المبحث الثاني: الخطيب وصفاته.
-17-	المبحث الثالث: عيوب الخطابة.
-19-	المبحث الرابع: مراحل إعداد الخطبة وتكوينها.
-22-	المبحث الخامس: أنواع الخطب وموضوعاتها بين القديم والحديث.
-25-	ثانياً: تمهيد حول فن الأسلوب الخطابي.
-25-	المبحث الأول: التعريف بالأسلوب لغة واصطلاح.
-28-	المبحث الثاني: محددات وآليات الأسلوب.
-30-	المبحث الثالث: الأسلوب الخطابي: المفهوم.
-31-	المبحث الرابع: خصائص الأسلوب الخطابي.
-32-	المبحث الخامس: مميزات الأسلوب الخطابي.
	الفصل الثالث: الجانب التطبيقي.
-34-	المبحث الأول: عبقرية عمر رضي الله عنه.
-35-	المبحث الثاني: نبذة عن سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
-36-	المبحث الثالث: عمر والدولة الإسلامية.
-38-	المبحث الرابع: مبايعة عمر للخلافة.
-40-	المبحث الخامس: دراسة أسلوبية لخطبة عمر بن الخطاب أثناء التولية.
-59-	خاتمة:
-66-	قائمة المصادر والمراجع:
-68-	الفهرس: